وصايا رمضانية

(٤)

وصايا قرآنية

الشيخ/ندا أبو أحمد

وصايا قرآنية

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

الوصية الأولى: لا تهجر القرآن واحرص على كثرة قراءته وخصوصاً في رمضان:

حال السلف مع القرآن في رمضان.

الوصية الثانية: احرص على معرفة فضائل القرآن:

١- القرآن شفاء.

٢- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة.

٣- القرآن يُفرِّج الله به الهموم، ويُذْهِب به الغموم.

٤- القرآن نورٌ للعبد في الدنيا وذخرًا له في الآخرة.

٥- القرآن سبب لزيادة الإيمان.

٦- القرآن سبب في ألا يكتب المرء من الغافلين.

٧- القرآن يتحصل به العبد على جبال من الحسنات.

٨- القرآن خير من الدنيا وما فيها.

٩- القرآن يفتح أبواب الخير الكثيرة.

١٠- القرآن يجعل المرء من خير الناس.

١١- القرآن يجعل الإنسان لا يُرَدُّ إلى أرذل العمر.

١٢- القرآن سبب لمحبة الله تعالى للعبد.

١٣- القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله.

١٤- القرآن سبب لحفظ الإنسان من فتنة الدجال.

١٥- حفظ القرآن سبب لرحمة الآباء.

١٦- القرآن سبب للحفظ من الزيغ والضلال.

١٧- القرآن سبب للنجاة من فتنة القبر.

١٨- القرآن يستقبل صاحبه عند خروجه من القبر.

١٩- القرآن سبب للنجاة من عذاب النار.

٢٠- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة.

٢١- القرآن سبب لدخول الجَنَّة.

٢٢- القرآن يرتقي بصاحبه في أعلى درجات الجَنَّة.

٢٣- حفظ القرآن وإتقانه يجعل الإنسان في أعلى الجنان مع السفرة الكرام؟.

بعض آداب قراءة القرآن.

كلام السلف عن القرآن وأهله.

اجتهاد السلف في قراءة القرآن.

الوصية الثالثة: اجعل لك وِرداً من الذكر والقرآن في رمضان وفي غيره من أيام العام(١):

الورد القرآني يختلف باختلاف الأشخاص.

من بركات المداومة على الورد: أن يصبح طبعًا وعادة ويحصل به الأنس والمحبة.

من تساهل في قضاء ورده إذا فاته هان عليه تضييعه في وقته.

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (الفرقان:٦٢)

يكره هجر الأوْرَاد بعد اعتيادها.

حال السلف على الأوْرَاد.

إذا أردت النجاة؛ فاجعل حياتك وِرْدًا.

الوصية الرابعة: إذا قرأت القرآن فاقرأه بتدبر:

الوصية الخامسة: إذا قرأت القرآن فاعمل بما جاء فيه:

الوصية السادسة: احذر عند قراءة القرآن أن تكون من هذا الصنف:

الوصية السابعة: أين البكاء عند تلاوة القرآن:

حال السلف عند البكاء.

حكم البكاء في الصلاة؟

الوصية الثامنة: عليك الدعاء عند ختم القرآن الكريم.

وقفة: دعاء ختم القرآن داخل الصلاة ليس من السنة.

الوصية التاسعة: لا تتباهى أمام الناس بختم القرآن:

١- مستفاد من كتاب" طاقة وَرْدٍ في فِقهِ الوِرْدِ " للشيخ محمد إسماعيل المقدم- حفظه الله-

الوصية الأولى: لا تهجر القرآن واحرص على كثرة قراءته وخصوصًا في رمضان:

أخي الحبيب اعلم أن تلاوة القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر:٢٩،٣٠)

وقد بين رب العالمين في هذه الآيات أن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهرًا، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسُدَ وتفسُدَ ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

- **وشهر رمضان هو الشهر الذي أنزل الله ﷻ فيه القرآن، كما قال تعالى:** ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة:١٨٥)

قال ابن كثير-رحمه الله-عند تفسير هذه الآية: " يمدح الله تعالى شهر الصيام من بين سائر الشهور، بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم فيه، وكما اختصه بذلك، قد ورد الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء ". اهـ (تفسير ابن كثير:٢٦٨/١)

فرمضان هو شهر القرآن، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال: **" كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة ".**

قال ابن رجب-رحمه الله-: " دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له؟ وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان".

وهكذا كان حال السلف مع القرآن في رمضان:

فها هو الإمام مالك-رحمه الله- كان إذا دخل عليه رمضان ترك قراءة الحديث، ومجالس العلم وأقبل على قراءة القرآن في المصحف.

وكان الزهري-رحمه الله- إذا أقبل رمضان توقف عن التحديث، ويقول:" إنما هو لتلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وكان سفيان الثوري -رحمه الله-: إذا دخل رمضان يترك جميع العبادات، ويقبل على قراءة القرآن.

وكان قتادة-رحمه الله-يختم القرآن في كل سبع ليال دائمًا، وفى رمضان في كل ثلاث، وفى العشر الأخيرة منه في كل ليلة. (سير أعلام النبلاء: ٢٧٦/٥)

وكان الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي-رحمه الله- يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين[١]، وأكبَّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبةُ لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

وكان الشافعي-رحمه الله- يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة يقرؤها في غير الصلاة ".

(سير أعلام النبلاء: ٣٦/١٠) (لطائف المعارف: ص٢٤٦)

وكان الحافظ ابن عساكر-رحمه الله-:" يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة ".

وكان البخاري-رحمه الله- يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

وكان الأسود-رحمه الله- يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال". (حلية الأولياء: ١٦٣/٢)

وهكذا كان حال السلف مع القرآن في رمضان وفي غيره، أما نحن فقد هجر البعض منا القرآن، فلا وقت لسماعه، ولا قراءته، ولا حفظه، وإذا قرأناه أو سمعناه لم نتدبره ولم نفهمه، وإذا فهمناه أو تدبرناه لم نعمل به ولم نتحاكم إليه، بل اكتفينا أن نقرأه على الأموات، ونزين به الجدران.

وقد جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان والطبراني من حديث جابر ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار".**

(صحيح الجامع: ٤٤٤٣)

ففي هذا الحديث إنذار ووعيد لمن هجر القرآن المجيد وجعله وراءه ظهريًا، وهذا الصنف يشتكيه النبي الأمين ﷺ لرب العالمين، **كما جاء في القرآن الكريم:** ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾

(الفرقان: ٣٠)

يقول معاذ بن جبل ﷺ كما عند الدارمي: **" سيبلى القرآن في صدور أقوام، كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة ".**

١- قال الإمام ابن رجب -رحمه الله-:" وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم ". (لطائف المعارف: ص٢٤٦)

وصدق والله معاذ بن جبل ﷺ، فهناك من يقرأ أو يسمع القرآن فلا يجد له شهوة ولا لذة، ويزداد الأمر خطورة وسوءًا عندما يجد هذا أيضًا في شهر رمضان الذي أنزل الله فيه القرآن، بل هناك مَن لا يفتح المصحف فيه، وإذا أطال الإمام في الصلاة يضيق صدره، ويصيبه الضجر والقلق، ويقيم الدنيا ولا يقعدها، وهذا هو حال البعض منا ولا يخفى على أحد.

وصدق والله عثمان بن عفان ﷺ حيث قال: **" لو طهُرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم".**

يقول ابن القيم-رحمه الله- في كتابه" الفوائد ص:٩٤": **" هجر القرآن أنواع: أحدهما:** هجر سماعه، والإيمان به، والإصغاء إليه، **والنوع الثاني:** هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وأحسن به، **والنوع الثالث:** هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم، **والنوع الرابع:** هجر تدبره، وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه، **والنوع الخامس:** هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب، وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾ (الفرقان:٣٠) وإن كان بعض الهجر أهون من بعض ". اهـ

قال دكتور عمر المقبل: لو سألت أي مسلم: أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وشفاء، وحياة للقلب؟ لأجابك – وبلا تردد– نعم! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في رمضان! فإنَّ حال هذا في الحقيقة هو كمن يعلن عن استغنائه عن هدى الله، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه، أحد عشر شهرًا!".

فاحذر أخي الحبيب! أن تهجر القرآن في رمضان أو في غيره من سائر شهور العام؟ وعليك أن تكثر من تلاوته في النهار، وتقوم به في الليل، وأخص بهذا الكلام حاملي القرآن.

– وقد أخرج الإمام أحمد والنسائي واللفظ له وابن المبارك في الزهد من حديث السائب بن يزيد ﷺ أنَّ شُرَيحًا الحضرميَّ ذُكِرَ عند النَّبيِّ ﷺ فقال له: **" ذاك رجلٌ لا يتوسَّدُ القرآنَ".** (صحيح النسائي: ١٧٨٢)

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ السَّائبُ بنُ يَزيدَ ﷺ:" أنَّ شُريحًا الحَضرميَّ ذُكِر عندَ رَسولِ اللهِ ﷺ، أي: ذَكَر اسْمَه الحاضِرونَ في جَلْسةٍ مع النبيِّ ﷺ، وكان شُريحٌ الحَضرميُّ مِن أفاضِلِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" **ذاك رجلٌ لا يَتوسَّدُ القُرآنَ**"، يَعني: لا ينامُ عليه فيَصيرُ له كالوِسادةِ، بل هو يَقرَؤُه ويتهجَّدُ به، ولا يَهجُرُه، بل ينامُ معه، فكأنَّ القُرآنَ لا يفارِقُه.

وقال ابن مسعود ﷺ:" ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس ينامون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون ".

فأما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار، فإنه ينتصب القرآن خصما له.

فقد أخرج البخاري من حديث سمرة بن جندب ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى فِي مَنَامِهِ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى قَفَاهُ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ، أَوْ صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلَا يَرْجِعَ إِلَى هَذَا، حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ، وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ " فسأل عنه فقيل له:" هَذَا رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ به إلى يوم القيامة"

يا من ضيع عمره في غير الطاعة! يا من فرط في شهره وأضاعه؟ يا من بضاعته التسويف والتفريط، وبئست البضاعة. يامن جعل خصمه القرآن وشهر رمضان، كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة؟!

قال ابن رجب في" لطائف المعارف ص:٢٤٩": هذا عباد الله شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع، ومع هذا فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع، قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة، وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل الشقوة، لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة، أين نحن من قوم إذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة وإذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة، وإذا صاموا صامت منه الألسنة والأسماع والأبصار، أفما لنا فيهم أسوة؟ كما بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة، كلما حسنت منا الأقوال ساءت الأعمال، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ". اهـ

فيا أيها الأحبة... عليكم بالقرآن قبل فوات الإمكان، وحافظوا على حدوده من التفريط والعصيان. واعلموا أنه شاهد لكم أو عليكم عند الملك الديان. وليس من شُكرِ نعمة الله بإنزاله علينا أن نتخذه وراءنا ظهريا.

فاللهمَّ ارزقنا تلاوةَ القرآن وحفظه على الوجه الذي يرضيك عنا. واهدنا به سبلَ السلام، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، واجعله حجةً لنا لا علينا واغفر لنا به الزلات والسيئات، وارفع لنا به الدرجات يا مجيب الدعوات..... آمين

الوصية الثانية: احرص على معرفة فضائل القرآن:

ومما يزدك قوة وهمة ونشاطًا وإقبالًا على قراءة القرآن في رمضان وفي غيره من سائر الأيام، أن تتعرف على فضائله والتي لا أستطيع أن أحصيها في هذا المقام، **ومنها:**

١- القرآن شفاء:

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (الإسراء:٨٢)

وأخرج البخاري عن عائشة-رضي الله عنها-:" أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أَقْرَأُ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها ".

٢- القرآن سبب لنزول السكينة وغشيان الرحمة:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده ".

٣- القرآن يُفرِّج الله به الهموم، ويُذْهِب به الغموم:

أخرج الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح صححه الألباني أن النبي ﷺ قال:" ما أصاب أحدًا قط همٌّ ولا حزنٌ، فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك أو علَّمته أحدًا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همِّي؛ إلا أذهب الله همَّهُ وحزنه، وأبدله مكانه فرحًا. فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلَّمها، فقال: بلى. ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها ".

٤- القرآن نورٌ للعبد في الدنيا وذخراً له في الآخرة:

فقد أخرج ابن حبان والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ قال:" قلت: يا رسول الله! أوصني، فقال ﷺ:" أُوصيكَ بتقوى اللهِ؛ فإنها رأسُ الأمرِ كلِّه قلتُ: يا رسولَ اللهِ! زِدْنِي. قال:" عليك بتلاوةِ القرآنِ، وذِكرِ اللهِ؛ فإنَّهُ نورٌ لك في الأرضِ، وذخرٌ لك في السماءِ... ". الحديث

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٣٣)

٥- القرآن سبب لزيادة الإيمان:

فمَن أراد زيادة الإيمان يومًا بعد يوم فعليه بكتاب الله، **فقد قال تعالى:** ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الأنفال:٢)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة:١٢٤)

وفى "نزهة الفضلاء:١/ ٣٨٣" يقول جندب ﷺ: " كنا غلمانًا حزاورة[١] مع رسول الله ﷺ، فتعلَّمنا الإيمان قبل أن نتعلَّم القرآن ثم تعلَّمنا القرآن فازددنا به إيمانًا ".

٦- القرآن سبب في ألا يكتب المرء من الغافلين:

فقد أخرج الحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ولو قرأ مائة آية كُتِبَ من القانتين ".

فقد أخرج الحاكم أيضًا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يُكْتَب من الغافلين، ومَن قرأ في ليلة مائة آية كتب من القانتين ".

٧- القرآن يتحصل به العبد على جبال من الحسنات:

فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " منْ قرأَ حرفًا من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها لا أقولُ آلم حرفٌ، ولَكِن ألِفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ ".

(صحيح الترمذي: ٢٩١٠) (صحيح الجامع: ٦٤٦٩)

٨- القرآن خير من الدنيا وما فيها:

إذا فرح أهل الدنيا بدنياهم، وأهل المناصب بمناصبهم، وأهل الأموال بأموالهم، فجدير أن يفرح حامل القرآن بكلام الله الذي لا توازيه الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أيحبُّ أحدُكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم. قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكُم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان ".

وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ قال: " خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: أيكم يحبُّ أن يغدو كل يوم إلى بُطْحَانَ[٢] أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كَوْمَاوَيْنِ[٣] في غير إثم ولا قطع رحم؟ فقلنا: يا رسول الله! كلنا يحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعْلمُ أو فيقرأُ آيتين من كتاب الله ﷻ خيرٌ له من ناقتين، وثلاثٌ خيرٌ من ثلاث، وأربعٌ خيرٌ من أربع ومن أعْدادِهن من الإبل ".

١- الحزاورة: جمع حزور، وهو الغلام إذا قارب البلوغ.
٢- بُطْحَانَ: موضع بالمدينة.
٣- الكَوْمَاءُ: هي العظيمة السنام من الإبل.

٩- القرآن يفتح أبواب الخير الكثيرة:

فقد أخرج الترمذي عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: " مَن قرأ " قل يا أيها الكافرون"؛ عدلت له بربع القرآن، ومَن قرأ "قل هو الله أحد" عدلت له بثلث القرآن ". (صحيح الجامع: ٦٤٦٦)

وفي "صحيح البخاري ومسلم" أن النبي ﷺ قال: " من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه".

وأخرج الإمام أحمد والنسائي أن النبي ﷺ قال: " مَن قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة ".

(صحيح الجامع: ٦٤٦٨)

وأخرج أحمد عن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: " مَن قرأ:" قل هو الله أحد"؛ حتى يختمها عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجَنَّة ". (صحيح الجامع: ٦٤٧٢)

١٠- القرآن يجعل المرء من خير الناس:

فقد أخرج البخاري أن النبي ﷺ قال: " خيرُكُم مَن تعلَّم القرآن وعلمه ".

١١- القرآن يجعل الإنسان لا يُرَدُّ إلى أرذل العمر:

فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-: " مَن قرأ القرآن لم يُرد إلى أرذل العمر، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (التين:٥-٦)، قال: الذين قرؤوا القرآن ".

١٢- القرآن سبب لمحبة الله تعالى للعبد:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها-: " أن رسول الله ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ " قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن: فأنا أحب أن أَقْرأُ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه ".

- فإذا أحبك الله أصبحت في معيته الخاصة وصرت من أهله وخاصته.

أخرج النسائي وابن ماجه عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لله من الناس أهلون، قالوا: مَن هم يا رسول الله؟ قال: أهل القرآن هم أهل الله وخاصته ".

فإذا كان أهل القرآن كذلك فإن الله ﷻ يكرمهم.

أخي الحبيب... إن قراءتك في المصحف سببٌ لمحبتك لله ورسوله ﷺ.

فقد أخرج البيهقي وأبو نعيم عن النبي ﷺ: " مَن سرَّه أن يُحبَّ الله ورسوله؛ فليقرأ في المصحف ".

١٣- القرآن من أعظم أنواع التجارة مع الله:

كما مر بنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ(٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (فاطر: ٢٩، ٣٠)

١٤- القرآن سبب لحفظ الإنسان من فتنة الدجال:

فقد أخرج الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال: " مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال".

١٥- حفظ القرآن سبب لرحمة الآباء:

فقد أخرج الحاكم عن بريدة الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَن قرأ القرآن وتعلَّمه وعمِل به أُلْبِس والداه يوم القيامة تاجًا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويُكسى والداه حُلَّتَين لا تقوم لهما الدنيا، فيقولان: بما كُسِينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدِكُما القرآن ".

١٦- القرآن سبب للحفظ من الزيغ والضلال:

فقد أخرج الحاكم والترمذي عن ابن عباس – رضي الله عنهما-: " أن النبي ﷺ خطب الناس في حجة الوداع، فقال: إن الشيطان قد يئس أن يُعْبَد في أرضكم، ولكن يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك ممَّا تحقِّرون من أعمالكم فاحذروا، إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به فلن تضلوا أبدًا كتاب الله وسنة نبيه ".

(الصحيحة)

١٧- القرآن سبب للنجاة من فتنة القبر:

فقد أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر".

(صحيح الجامع: ٣٦٤٣)

وأخرج الحاكم بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " يؤتى الرجلُ في قبره فيؤتَى من قِبل رجلاه، فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك، ثم يؤتى من قِبَل صدره – أو قال: بطنه – فيقول: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ سورة الملك، ثم يؤتى من قِبل رأسه فيقول: ليس لكم على ما قِبلي سبيل كان يقرأ في سورة الملك فهي المانعة تمنع عذاب القبر، وهي في التوراة سورة الملك مَن قرأها في ليلةٍ فقد أكثر وأطيب ".

وأخرج البخاري عن سمرة بن جندب ﷺ قال: " أن النبي ﷺ كان إذا صلَّى صلاة – وفى لفظ: صلاة الغداة – أقبل علينا بوجهه، فقال: مَن رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد (رؤيا) قصَّها، فيقول: ما شاء الله، فسألنا يومًا فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكن رأيت الليلة رجلين أتياني (فساق الحديث وفيه) فانطلقت حتى أتينا على رجل مضجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إلى الرجل حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، فقلت: سبحان الله! ما هذا؟ فقالا لي انطلق – فذكر الحديث وفيه... أما الرجل الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فهو رجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة ".

١٨- القرآن يستقبل صاحبه عند خروجه من القبر:

فقد أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن بريدة ﷺ قال: " كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: تعلَّموا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، قال: ثم مكث ساعة، ثم قال: تعلَّموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك، القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويُكسى والده حُلَّتَين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كُسِينا هذه، فيقال: بأخذ ولدِكُما القرآن، ثم يقال له: اقْرَأْ واصعد في درج الجَنَّة وغرفها، فهو في صعود مادام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلًا ".

١٩- القرآن سبب للنجاة من عذاب النار:

فالعبد يسعى بكل ما يستطيع لكي ينجو من عذاب النار، وقد كتب الله ﷻ لمَن حفظ القرآن ابتغاء وجهه ألا تحرقه النار.

فقد أخرج البيهقي عن عصمة بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لو جمع القرآن في إهابٍ ما أحرقه الله بالنار".

وأخرج الدارمي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: " اقرءوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبًا وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمَن دخل فيه فهو آمن، ومن أحبَّ القرآن فليبشر".

٢٠- القرآن يشفع لصاحبه يوم القيامة:

أخرج ابن حبان عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" القرآن شافعٌ مُشفَعٌ وماحلٌ[١] مُصَدَّقٌ، مَن جعله أمامه قاده إلى الجَنَّة، ومَن جعله خلف ظهرِه ساقه إلى النار".** (صحيح الجامع: ٤٤٤٣)

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: **" الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ منعته الطعام والشهوة، فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعته النوم بالليل، فشفعني فيه قال:" فيشفعان [٢]".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٨٤) (صحيح الجامع:٣٨٨٢)

قال الألباني-رحمه الله-: أي: يشفِّعهما الله تعالى فيه ويدخله الجنة.

٢١- القرآن سبب لدخول الجَنَّة:

أخرج الطبراني في "الأوسط" عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجَنَّة وهى تبارك ".**

٢٢- القرآن يرتقي بصاحبه في أعلى درجات الجَنَّة:

الإنسان يرتقي في الجنة بقدر حفظه للقرآن.

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" يقال لصاحب القرآن: اقرأْ وارقَ ورتِّل كما كنت تُرتل في الدنيا، فإن منزلكَ عند آخر آية تقرأ بها ".**

قال ابن حجر الهيتمي-رحمه الله- كما في "الفتاوى الحديثية ص:١٥٦": " الخبر المذكور خاص بمن يحفظه عن ظهر قلب، لا بمن يقرأ بالمصحف، لأن مجرد القراءة في الخط لا يختلف الناس فيها ولا يتفاوتون قلة وكثرة، وإنما الذي يتفاوتون فيه كذلك هو الحفظ عن ظهر قلب، فلهذا تفاوتت منازلهم في الجَنَّة بحسب تفاوت حِفْظِهم ".

قال أبو سليمان الخطابي-رحمه الله- في "معالم السنن": " جاء في الأثر أن عدد آي القرآن على قدر درج الجَنَّة، فيقال للقارئ: **"ارْقَ في الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ في آي القرآن"**. فمن استوفى جميع القرآن استولى على أقصى درج الجَنَّة في الآخرة، ومَن قرأ جزءًا منه كان رقِيُّه في الدرج على قدر ذلك؛ فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة ".

١- ماحلٌ: ساعٍ، وقيل: خصم مجادل.

٢- فيشفعان: أي يطلبان من الله المغفرة والرضوان، ودخول الجنة.

٢٣- حفظ القرآن وإتقانه يجعل الإنسان في أعلى الجنان مع السفرة الكرام:

فحين يفتخر أهل الدنيا بانتسابهم إلى العظماء والوجهاء والأغنياء، فإن حافظ القرآن يفتخر بأنه سيكون مع السفرة الكرام البررة الذين اختارهم الله عز جل، وشرَّفَهم بأن تكون بأيديهم الصحف المطهرة، **كما قال رب العالمين في كتابه الكريم:** ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾

(عبس: ١٣-١٥)

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **" الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاق له أجران ".**

وبعد هذا الشرف والتكريم الذي ناله أهل القرآن يتضح لنا قول الحبيب المصطفى ﷺ، ***الثابت في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- أنه ﷺ قال:*** **" لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يَتَصَدَّق به آناء الليل وآناء النهار".**

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جارٌ له فقال: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل، ورجل آتاه الله مالًا فهو يهلكه في الحق، فقال رجلٌ: يا ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثلما يعمل ".**

فهيا نقبل في رمضان على كتاب الله قراءة وتدبرا وعملًا، وإليك بعض آداب قراءة القرآن ليكتمل الفضل ويعظم الأجر:

- يستحب للقارئ أن ينظف فمه، ويستقبل القبلة ويجلس متخشعًا بسكينة ووقار.
- إذا أراد القراءة، تعوذ وجهر بها، **قال تعالى:** ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾

(النحل: ٩٨)

- إذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر، والخضوع، فهو المقصود، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب؛ **قال تعالى:** ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩)، وقد كان جماعة من السلف يردد أحدهم الآية الواحدة طوال الليل!
- **ويسن تحسين الصوت بالقراءة؛ لقوله ﷺ:** **" مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ".**

(متفق عليه)

- ويستحب ترتيل القرآن **قال تعالى:** ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل:٤)
- ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من العذاب أو من الشر ونحو ذلك، لثبوت ذلك عن النبي ﷺ.

– ويستحب البكاء عند القراءة من غير أن يتكلفه؛ **قال تعالى:** ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا(١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء:١٠٧-١٠٩)

– يستحب لقارئ القرآن إذا ختم القرآن قراءة أن يدعو الله تعالى بما شاء من خيري الدنيا والآخرة. ***وذلك لما رواه الإمام أحمد والطبراني في الكبير عن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** " اقرؤوا القرآن، وسلوا الله به، قبل أن يأتي قوم يقرؤون القرآن، فيسألون به الناس ".

وأخرج الدارمي عن ثابت البناني أنه قال: كان أنس ﷺ إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا بهم"

كلام السلف عن القرآن وأهله:

١ – ***قال عثمان بن عفان ﷺ:*** " لو طَهُرَتْ قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم ".

(رواه الإمام أحمد في زوائد الزهد ص:١٢٨) (حلية الأولياء: ٣٠٠/٧)

٢ – ***وقال عبد الله ابن مسعود ﷺ:*** " من أراد أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله، فإنما القرآن كلام الله جل جلاله ".

– ***وقال ﷺ أيضًا:*** " من أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ".

(رواه الطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد:٦٥/٧"رجال ثقات)

– ***وقال أيضًا:*** " لا تهذوا القرآن هذَّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل (التمر الرديء)، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة ".

– ***وقال أيضًا:*** " من أراد العلم، فليقرأْ القرآنَ، فإنَّ فيه علمَ الأولينَ والأخرين ".

(مصنف بن أبي شيبة والمعجم الكبير للطبراني وشعب الإيمان للبيهقي)

٣ – ***وقال خبَّاب بن الأرت ﷺ:*** " تقرَّب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب بشيء أحب إليه من كلامه ". (رواه الحاكم وأبو نعيم في حلية الأولياء:١٩٩/٩)

٤ – ***وقال أبو هريرة ﷺ:*** " إن البيتَ ليتسعُ على أهله، وتحضره الملائكةُ، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره أن يُقرأَ فيه القرآنُ، وأن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره أن لا يقرأ فيه القرآن ". (إحياء علوم الدين:٢٧٣/١)

٥ – ***وقال أبو سعيد الخدري ﷺ:*** " عليك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن؛ فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلبُ الشيطان ". (نزهة الفضلاء: ٢٤٨/١)

٦- ***وقال الحسن بن عليّ-رضى الله عنهما-:*** "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار". (التبيان للنووي-رحمه الله- ص:٢٨)

٧- ***وسئلت أسماء بنت أبي بكر-رضى الله عنها-:*** كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سمعوا القرآن؟ قالت:" كانت تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله ﷻ فقال: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ". (الزمر:٢٣)

٨- ***وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-:*** " ضمن الله ﷻ لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه، هداه الله من الضلالة، ووقاه سوء الحساب، ذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى(١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ". (طه: ١٢٣، ١٢٤)

٩- ***وقال ابن مسعود ﷺ:*** " ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، ونهاره إذا الناس يفطرون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون ". (لطائف المعارف ص:٢٤٨)

١٠- ***وقال محمد بن كعب-رحمه الله-:*** " كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه". يشير إلى سهره وطول تهجده.

١١- ***وقال وهيب بن الورد-رحمه الله-:*** " قيل لرجل ألا تنام؟! قال:" إن عجائب القرآن أطرن نومي ".

١٢- ***وقال أحمد بن الحواري-رحمه الله-:*** " إني لأقرأُ القرآنَ وأنظرُ في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حُفَّاظ القرآن كيف يهنيهم النومُ، ويسعهم أن يشتغلوا بشيءٍ من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحًا بما رزقوا ".

(لطائف المعارف ص:٢٤٨)

وأنشد ذو النون المصري:

منـــع القـــرآنُ بـــوعدهِ ووعيدِه ... مُـقَلَ العيـونِ بليلها لا تَهْجَعُ

فهموا عن الملك الكريم كلامَه ... فهمًا تذلُّ له الرقابُ وتخضعُ

(لطائف المعارف ص:٢٤٨)

١٣- ***وقال مالك بن دينار-رحمه الله-:*** " يا حملةَ القرآن ماذا غرس القرآنُ في قلوبكم؛ فإن القرآنَ ربيعُ المؤمن، كما أن الغيثَ ربيعُ الأرضِ، وقد ينزل الغيثُ من السماء إلى الأرض، فيصيبُ الحشَ فيكونُ فيه الحبةُ فلا يمنعها نتنُ موضِعها أن تهتزَّ وتخضرَّ وتحسنَّ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآنُ في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة، أين أصحاب سورتين، ماذا عملتم فيها؟؟ ". (حلية الأولياء: ٣٥٨/٢)

وقال أيضًا-رحمه الله-: " إن الصديقين إذا تُلِيَتْ عليهم آياتُ الرحمنِ طربت قلوبُهم واشتاقت إلى ما عنده ثم يقول: اسمعوا إلى ما يقول الملك سبحانه من فوق عرشه، ثم يبدأ في التلاوة ".

١٤ - ***وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:*** " كفى بالله مُحِبًا، وبالقرآن مُؤنِسًا، وبالموت واعظًا، اتَّخذ اللهَ صاحبًا، ودع الناس جانبًا ".

وقال أيضًا: " من لم يستأنسْ بالقرآن فلا آنسَ اللهُ وحشتَه ".

وقال أيضًا: " حاملُ القرآنِ حاملُ رايةِ الإسلامِ، لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيمًا لحق القرآن ".

١٥ - ***وقيل لذي النون-رحمه الله-:*** " ما الأنس بالله؟! قال: العلم والقرآن ".

١٦ - ***وقال الحسن-رحمه الله-:*** " إنَّ مَنْ كان قبلكم رأوا القرآنَ رسائل من ربهم، فكانوا يتدبرونها بالليل، وينفذونها بالنهار".

١٧ - ***وقال كعب الأحبار-رحمه الله-:*** " عليكم بالقرآن؛ فإنه فهم العقل، ونور الحكمة، وينابيع العلم، وأحدث الكتب عهدًا بالرحمن ". **(حلية الأولياء: ٣٧٦/٥)**

١٨ - ***وقال محمد بن واسع-رحمه الله-:*** " القرآنُ بستان العارفين، فأينما حلُّو منه، حلُّوا في رياض نضرة". **(حلية الأولياء:٣٤٧/٢)**

١٩ - ***وقال أحدُ الصالحين لتلميذه:*** " أتحفظ القرآن؟ قال: لا، فقال: واغوثاه، يا الله لمريد لا يحفظ القرآن، فبم يتنعم، فبم يترنم؟ فبم يناجي مولاه؟ ".

٢٠ - ***وقال عبد الله بن عمير-رحمه الله-:*** " كان يُقال أنقى الناس عقولًا قُرَّاء القرآنِ ".

٢١ - ***وقال قتادة -رحمه الله-:*** " لم يجالس هذا القرآنَ أحدٌ إلا قام بزيادة أو نقصان، قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا ".

٢٢ - ***قال وهيب بن الورد -رحمه الله-:*** " نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

٢٣ - ***وقيل لبعضهم:*** " إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء؟ فقال: أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدثَ به نفسي؟!".

٢٤ - ***وقال أحمد بن أبي الحواري-رحمه الله-:*** " سمعت ابن عيينة يقول:" لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله ﷻ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله ﷻ ". **(حلية الأولياء:٢٧٨/٧)**

اجتهاد السلف في قراءة القرآن:

١- عثمان بن عفان ﷺ:

يقول سليمان بن يسار-رحمه الله-: قام عثمان بن عفان ﷺ بعد العشاء فقرأ القرآن كله في ركعة لم يصل قبلها ولا بعدها ". **(ترطيب الأفواه للعفاني حفظه الله:١٢١/٢)**

٢- تميم الداري ﷺ:

يقول ابن سيرين -رحمه الله-: " كان تميم الداري يقرأ القرآن في ركعة ".

٣- عروة بن الزبير-رضي الله عنهما-:

قال ابن شوذب - رحمه الله-: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الأكلة، فنشرت ". **(الحلية:١٧٨/٢) (سير أعلام النبلاء:٤٢٦/٤)**

٤- الحسن بن صالح بن حيّ الثوري-رحمه الله-:

يقول عنه وكيع: كان الحسن وعليّ ابني صالح، وأمهما قد جزأوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في كل ليلة، فكان كل واحد يقوم بثلثه، فماتت أمهما، فكانا يختمانه، ثم مات عليّ فكان الحسن بن صالح يختم كل ليلة ". **(تهذيب التهذيب:٢٨٨/٢)**

٥- يحيى بن سعيد القطان -رحمه الله-"أمير المؤمنين في الحديث":

قال عنه يحيى بن معين: " أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة ".

(سير أعلام النبلاء:١٧٩/٩)

٦- عبد الرحمن بن مهدي -رحمه الله-:

يقول عليّ بن المديني: " كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن ". **(المصدر السابق:٢٠٣/٩)**

٧- قتادة -رحمه الله-:

كان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر كل ليلة.

(المصدر السابق:٢٧٦/٥)

٨- أبو بكر بن عياش-رحمه الله-:

يقول عنه الذهبي-رحمه الله-: وقد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحوًا من أربعين سنةً يختمُ القرآنَ في كلِ يوم وليلة مرة ". **(المصدر السابق:٥٠٣/٨)**

وقال يحيى اليماني-رحمه الله-: " لما حضرت أبا بكر بن عياش الوفاةُ بكت أختُه، فقال لها: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانيةَ عشرَ ألفِ ختمةً ". **(ترطيب الأفواه للعفاني حفظه الله:١٢٦/٢)**

٩- **الإمام حمزة بن حبيب الزيات، القيّم بكتاب الله، العابد الخاشع، القانت لله، يقول:**" نظرت في المصحف حتى خشيت أن يذهب بصري ". **(المصدر السابق)**

١٠- **ثابت البناني -رحمه الله-:**

قال عنه شعبة:" كان ثابت يقرأ القرآن في يوم وليلة، ويصوم الدهر ".

١١- **ابن القاسم -رحمه الله-:**

قال أسد بن الفرات-رحمه الله-:" كان ابنُ القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين قال: فنزل به حين جئت إليه عن ختمة، رغبة في إحياء العلم ".

١٢- **شيخ الإسلام الحافظ الناقد أبو بكر بن محمد بن محمد تقي الدين البلاطنسي:** كان يختم في رمضان في كل ليلة ختمتين، وأكبَّ في آخر عمره على التلاوة فكان لا يأتيه الطلبةُ لقراءة الدرس إلا وجدوه يقرأ القرآن.

١٣- **والشيخ الفاضل محمد بن علاء شمس الدين البابلي القاهري الشافعي:** كان كثير العبادة يواظب على قراءة القرآن سرًا وجهرًا، وكان راتبه في كل يوم وليلة نصف القرآن ويختم يوم الجمعة ختمة كاملة، وكان كثير البكاء عند قراءة القرآن. **(ترطيب الأفواه للعفاني -حفظه الله-:١٣٢/٢)**

١٤- **محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي أبو عبد الله الحلفاوي التونسي نزيل غرناطة يعرف بابن المؤذن؛** كان صاحب مقامات وكرامات، حسن الصلاة جدًا، وكان يختم في رمضان مائة ختمة.
(المصدر السابق)

١٥- **الإمام الشافعي -رحمه الله- (إمام الدنيا وناصر السنة):**

قال عنه الربيع بن سليمان:" كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة يقرؤها في غير الصلاة ". **(سير أعلام النبلاء: ١٠ /٣٦) (لطائف المعارف: ص٢٤٦)**

١٦- **أبو حنيفة النعمان -رحمه الله -:**

يقول عنه شمس الأئمة الكردري في كتابه (مناقب الإمام أبي حنيفة):" وكان الإمام أبو حنيفة – رحمه الله- يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة، وفي رمضان في كل يوم مرتين، مرة في النهار ومرة في الليل ".
(ترطيب الأفواه للعفاني -حفظه الله:١٢٦/٢)

١٧- ***وكان الحافظ ابن عساكر-رحمه الله-:***" يختم كل جمعة، ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار، ويحاسب نفسه على كل لحظة تذهب في غير طاعة ".

١٨- ***الإمام البخاري-رحمه الله-:*** كان يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة.

١٩- ***الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: قال عنه جعفر بن أبي هاشم:*** " سمعت أحمد بن حنبل يقول: " ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون ".

(ترطيب الأفواه للعفاني – حفظه الله-:١٢٨/٢)

٢٠- **بشر الحافي-رحمه الله-:**

قال الإمام عليُّ بنُ المديني شيخ البخاري: " حفر بشر الحافي قبره، وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن ". **(المصدر السابق)**

٢١- " **وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين**، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال ". **(حلية الأولياء:١٦٣/٢)**

تنبيه:

قال الإمام ابن رجب-رحمه الله- بعد ذكر هذه الآثار: " وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا الليالي التي يُطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان. وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم ".

(لطائف المعارف: ص٢٤٦)

الوصية الثالثة: اجعل لك وِردًا من الذكر والقرآن في رمضان وفي غيره من أيام العام[١]:

والوِردُ هو: ما يأتيه المسلم من نوافل العبادات، ويتعاهده طوال حياته.

فيطلق الورد على الجزء من الليل يكون على الرجل أن يُصلِّيه، والنصيب من القرآن أو الذكر، يُقال: قرأتُ وردي".

والجمع: أوراد. وقد يأتي الورد بمعنى الحزب[٢]، يقال: قرأ وِرْدَه وحزبه بمعنى واحد.

فهما مترادفان من حيث المعنى، وإن اختلف لفظهما، فكل ذكر أو دعاء بعد الفرائض يسمى وردًا أو حزبًا إذا كان مرتبطا بوقت معين.

وهناك من فرق بين الوِرد والحزب: إن الورد يُقرأ في أوقات منتظمة؛ كأوراد الليل وأوراد النهار، أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص.

فالخلاصة: أن الوِرد أو الحزب هو مجموعة من الأذكار المأثورة أو قراءة جزء معين من القرآن يلتزمها المرء ويواظب عليها تقربًا إلى الله تعالى، وهو تطوع لم يفرضه الله عليه.

١- مستفاد من كتاب" طاقة وَرْدٍ في فِقهِ الوِرْدِ " للشيخ محمد إسماعيل المقدم- حفظه الله-

٢- الحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالوِرد. (انظر النهاية في غريب الحديث:١/ ٣٧٦) (لسان العرب:٣٠٨/١).

- وينصرف الوِرد عند الإطلاق إلى تلاوة القرآن الكريم فهو أهم وِرد يطالب المسلم بالمحافظة عليه يوميًّا، وأفضل أحوال الوِرد القرآني اليومي أن يكون في صلاة قيام الليل.

وقد أخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".**

فالحزب هنا حصة معينة من القرآن الكريم يتلوها المرء احتسابًا، ونلاحظ أن رسول الله ﷺ في الحديث الآنف الذكر أضاف الحزب إلى الشخص "حزبه"، وأطلق ذلك ولم يقيده بقدر، ويُفهم من هذا أن تحديد مقدار (الحزب) أمر شخصي يخضع لظروف كل شخص على حدة، وقد اختلفت مسالك الصحابة – رضي الله عنهم– في المقدار اليومي الذي يقرؤونه من القرآن الكريم، وتفاوتت أحزابهم في هذا، وإن كان قد روي عنهم أنهم كانوا يختمونه في سبعة أيام.

ومما يدل على مشروعية تحزيب القرآن الكريم: ما رواه ابن الهاد قال: سألني نافع بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ فقال لي: في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أُحَزِّبُهُ، فقال لي نافع: لا تقل: ما أُحَزِّبُهُ؛ فإن رسول الله ﷺ قال:" قرأت جزءًا من القرآن ". (صحيح سنن أبي داود: ١٢٤١)

وقال المعتمر بن سليمان: ذهبت ألقن أبي عند الموت، فأومأ إليَّ بيده: دَعْني؛ فإني في وِردي الرابع". فسمى الحزبَ من أحزاب القرآن لوقتٍ ما وِرْدًا.

وتحديد مقدار" الحزب" أمر تنظيمي محض، الهدف منه المواظبة على قراءة القرآن الكريم وعدمُ هجره، فإذا وجد نشاطًا في بعض الليالي طوَّل القراءة، وإن كَسِلَ قصرها، لكن لا يقل عن الحد الأدنى من حزبه؛ كي تصبح قراءة القرآن الكريم عادة يومية كسائر الوظائف التي لا يتخلى عنها تحت أي ظرف.

الورد القرآني يختلف باختلاف الأشخاص:

قال الإمام النووي–رحمه الله–: " اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر ".

ثم قال: ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وقد كانت للسلف رضي الله عنهم عاداتٌ مختلفة في القدر الذي يختمون فيه، فكان جماعة منهم يختمون في كل شهرين ختمة، وآخرون في كل شهر ختمة، وآخرون في كل عشر ليال ختمة، وآخرون في كل ثمان ليال ختمة، وآخرون في كل سبع ليال ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السلف، وآخرون في كل ست ليال، وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كل ثلاث وكان كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة...". اهـ

(الأذكار النووية ص:٨٥)

وقال أيضًا-رحمه الله-:" والمختار: أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائفُ ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم، أو فصل الحكومات بين المسلمين، أو غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حدِّ الملل أو الهذرمة في القراءة. وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ***ويدل عليه ما رويناه بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وغيرها عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **لا يَفْقَهُ مَنْ قرأ القرآن في أقل من ثلاث**". وأما وقت الابتداء والختم، فهو إلى خيرة القارئ، فإن كان ممن يختم في الأسبوع مرةً، فقد كان عثمان ﷺ يبتدئ ليلة الجمعة ويختم ليلة الخميس". اهـ (المصدر السابق ص:٨٦)

من بركات المداومة على الورد: أن يصبح طبعاً وعادة ويحصل به الأنس والمحبة:

فعلى الإنسان أن يحافظ على وِرده من قيام الليل أو قراءة القرآن أو ذكر الرحمن وقد يكون الورد في أوله متكلَّفًا، لكنه من المثابرة والمكابدة لمدة طويلة يورث الأنس والمحبة ويصبح طبعًا

والأمر كما قال الحبيب ﷺ:" **الخير عادة...**". (رواه ابن ماجه بسند صحيح)

وكل ورد لا يمكن المواظبة على كثيره، فقليله مع المداومة أفضل وأشد تأثيرًا في القلب من كثيره مع الفترة.

ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة، ولو وقع ذلك على الحجر، ومثال الكثير المتفرق ماء يُصَبُّ دفعة واحدة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر.

والأصل في الأوراد في حق كل صنف من الناس- عالمًا كان أو عابدًا، متعلمًا أو واليًا، تاجرًا أو محترفًا - المداومة[1]، فإن المراد من الذكر تغيير الصفات الباطنة، وآحاد الأعمال يقل آثارها، بل لا يُحس بآثارها، وإنما يترتب الأثر على المجموع، فإذا لم يعقب العمل الواحد أثرًا محسوسًا ولم يُرْدَفْ بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول، وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس، فإنه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير، فلو بالغ ليلة في التَّكرار، وترك شهرًا أو أسبوعًا، ثم عاد وبالغ ليلة، لم يؤثر هذا فيه، ولو وزع ذلك القدر على الليالي المتواصلة لأثر فيه.

١ - أي: المداومة على الورد المناسب له؛ فإن الأوراد تختلف من شخص إلى شخص؛ طبقا لأحوال كل واحد.

من تساهل في قضاء ورده إذا فاته هان عليه تضييعه في وقته:

ينبغي لمن كان له وظيفة من وِرد في وقت من ليل أو نهار ففاتته فعليه أن يتداركها، ويأتي بها إذا تمكن منها ولا يهملها، فإنه إذا اعتاد الملازمة عليها لم يعرضها للتفويت، وإذا تساهل في قضائها سهل عليه تضييعها في وقتها[1]، وعلى هذا فينبغي أن يتداركها حتى يصدقَ عليه أنه مديم للذكر مواظب عليه.

فقد أخرج ابن حبان من حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: **كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملًا أثبته، وكان إذا نام من الليل، أو مَرِضَ صَلَّى من النهار ثنتَيْ عشرة ركعة، قالت: وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان ".**

- وفي رواية: **" كان رسول الله ﷺ إذا لم يُصلِّ من الليل مَنَعَهُ عن ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[2] ".**

وقد كان الصحابة يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة.

(تحفة الذاكرين ص:٦٠)

وقد مر بنا الحديث الذي رواه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".**

وروى الإمام مالك في موطئه عن عبد الرحمن القاريِّ عن عمر ﷺ قال: **من فاته حزبه من الليل، فقرأه حين تزول الشمس[3] إلى صلاة الظهر، فإنه لم يفته "، أو:" كأنه أدركه ".** **(قال الألباني صحيح موقوف)**

قال الحافظ ابن عبد البر-رحمه الله- في" كتابه التمهيد:٨/ ١٠٧" تعليقًا على أثر عمر ﷺ: وقوله:

" فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر"، وهمٌّ عندي والله أعلم... لأن المحفوظ فيه عن عمر ﷺ من حديث ابن شهاب:" **مَن نامَ عن حِزْبِهِ، أوْ عن شَيءٍ منه، فَقَرَأَهُ فِيما بيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصَلاةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ له كَأنَّما قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ ".** قال أبو عمر: وهذا الوقت فيه من السَّعة ما ينوب عن صلاة الليل، فيتفضل الله برحمته على من استدرك من ذلك ما فاته، وليس من زوال الشمس إلى صلاة الظهر ما يستدرِك فيه كل أحدٍ حزبه، وهذا بَيِّن، والله أعلم ". اهـ

وأخرج النسائي في سننه عن حُميد بن عبد الرحمن قال: " من فاته وِرده من الليل، فليقرأه في صلاة قبل الظهر، فإنها تعدل صلاة الليل ". **(قال الألباني: صحيح مقطوع)**

١- انظر (الأذكار النووية ص:٩)

٢- ترجم ابن حبان لهذا الحديث فقال:" ذكر بيان بأن المصطفى ﷺ كان إذا مرض بالليل صلى وِردَ ليله بالنهار".

٣- انظر (موسوعة التفسير بالمأثور:١٦/١٥٠)

وقفة مع قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ (الفرقان:٦٢)

عن الحسن البصري-رحمه الله- قال: " أن عمر بن الخطاب ﷺ أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه؟ فقال:" إنه بقي عَلَيَّ من وردي شيء، وأحببت أن أتمه- أو قال: أقضيه-"، وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ الآية.

(رواه عبد الرزاق في مصنفه وابن أبي حاتم، وإسناده منقطع لأن الحسن لم يدرك عمرﷺ، ولم يسمع منه، فإنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمرﷺ ونشأ بوادي القرى).

وعن شمر بن عطية عن شقيق قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: فاتتني الصلاة الليلة، فقال عمرﷺ:" أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك؛ فإن الله ﴿جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ ".

وقال ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" من فاته شيءٌ من الليل أن يعمله أدركه بالنهار، أو من النهار أدركه بالليل".

وقال سعيد بن جبير-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" جعل الليل خِلْفًا من النهار، والنهار خِلْفًا من الليل، لمن فرَّط في عمل أن يقضيه"

وقال عكرمة مولى ابن عباس-رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" خُذ من ليلك، فإن فاتك من نهارك فمن ليلك ".

وقال الحسن البصري-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" إن لم يستطع عَمَلَ الليل عمله بالنهار، وإن لم يستطع عمل النهار عمله بالليل، فهذا خلفة لهذا ".

- ***وفي رواية:*** " من عجز بالليل كان له في أول النهار مُسْتَعْتَبٌ [1] ".

وقال قتادة بن دِعامةَ-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾:" أي يختلفان، هذا أسود وهذا أبيض، وإن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار، وينسى بالنهار ويذكر بالليل".

وقال مقاتل بن سليمان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" فجعل النهار خَلَفًا من الليل لمن كانت له حاجة، وكان مشغولا ".

وقال سُفْيانَ بنِ عُيَيْنَةَ-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾:" إن قصر أحد في الليل أدركه بالنهار، وإن قصر أحد في النهار أدركه بالليل".

---

١ ـ مستعتب: وقت استعتاب أي وقت طلب عُتْبى، كأنه أراد وقت استغفار.

يكره هجر الأوْرَاد بعد اعتيادها:

قال الإمام أحمد-رحمه الله-: " من كان له وِرد فقطعه؛ خِفْتُ عليه أن يُسلَب حلاوة العبادة ".

لأنه إعراض بعد إقبال.

وقال أبو سليمان الداراني-رحمه الله-: " إذا فاتك شيءٌ من التطوع، فاقضِ؛ فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه ".

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية-رحمه الله-: " ومن علامات صحة القلب: ألا يفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولا يأنس بغيره، إلا بمَن يَدُلُّه عليه، ويذكره به، ويذاكره بهذا الأمر. ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألما أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفَقْدِه ".

(إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ص:٢٠)

وقال الفقيه الشافعي أحمد بن حجر الهيتمي-رحمه الله-: " محافظة الإنسان على أورادٍ له من الصلاة، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء طَرَفَي النهار وزلفًا من الليل، وغير ذلك، فهذه سنة رسول الله ﷺ والصالحين من عباد الله قديمًا وحديثًا، فما سُنَّ عمله على وجه الاجتماع كالمكتوبات؛ فُعِلَ كذلك، وما سُنَّ المداومة عليه على وجه الانفراد من الأوراد عُمِلَ كذلك، كما كان الصحابة يجتمعون أحيانًا يأمرون أحدهم يقرأ، والباقون يستمعون، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: يا أبا موسى! ذكِّرنا ربَّنا فيقرأ، وهُم يستمعون ". **(الفتاوى الفقهية الكبرى:٢٠/ ٣٨٥)**

حال السلف على الأوْرَاد

- ***قال الحسن البصري-رحمه الله-:*** كان عمر ﷺ يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يُعاد؛ يحسبونه مريضًا ". **(حلية الأولياء:١/٥١)**

- ***وقال عِكْرِمَة-رحمه الله-*** أن أبا هريرة ﷺ كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يقول:" أسبح بقدر ديتي ". **(سير أعلام النبلاء:٢/ ٦١٠)**

- **وذكر نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة** ﷺ أنه كان له خيط، فيه ألفا عقدة، فلا ينام حتى يسبح به ". **(حلية الأولياء:١/ ٢٨٣)**

- ***وقال ابن جابر-رحمه الله-:*** كان عمير بن هانئ يضحك، ثم يقول: بلغني أن أبا الدرداء ﷺ قال: إني لأستجم؛ ليكون أنشط لي في الحق، فقلت: أراك لا تفتر عن الذكر، فكم تسبح؟ قال:" مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع ". **(سير أعلام النبلاء:٢ /٣١٨)**

- ***وقال محمد بن ثابت البناني-رحمه الله-:*** ذهبت ألقن أبي وهو في الموت" لا إله إلا الله"، فقال: "يا بني، دعني؛ فإني في وردي السادس أو السابع ". **(حلية الأولياء:٢/ ٣٢٢)**

- ***وقال سلمة-رحمه الله-:*** كان خالد بن معدان يُسَبِّح في اليوم أربعين ألف تسبيحة، سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات، ووضع على سريره ليغسل جعل بأصبعه كذا يحركها – يعني: بالتسبيح.
(حلية الأولياء:٥/ ٢١٠)

- ***وقال رياح القيسي-رحمه الله-:*** " لي نيفٌ وأربعون ذنبًا، قد استغفرتُ لكل ذنب مائة ألف مرة.
(سير أعلام النبلاء:٨/ ١٧٤)

- ***ودخل أبو العباس بن عطاء على الجُنَيْد وهو في النزع، فسلم عليه فسكت، ثم رد عليه بعد ساعة، وقال:*** " اعذرني فإني كنت في وِردي، ثم أقبل بوجهه إلى القبلة، وكبر، ومات ". **(شعب الايمان:٤/ ٥٤٢)**

- ***وروى البيهقي عن أبي محمد الجريري أنه قال:*** كنت واقفًا على رأس الجنيد في وقت وفاته، وكان يوم جمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم، ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد، ما رأيت أحدًا أحوج إليه مني في هذا الوقت، وهو ذا تُطوى صحيفتي ". **(المصدر السابق)**

- ***وعن الجنيد-رحمه الله- قال:*** سمعتُ السَّرِيَّ يقول:" إذا فاتني جزء من وردي لا يمكنني أن أقضيه أبدا[1] ". **(حلية الأولياء:١٠/ ١٢٤)**

- ***وقال هشيم -رحمه الله-:*** " لو قيل لمنصور بن زاذان: ملك الموت على الباب، ما كان عنده زيادة في العمل؛ وذلك أنه كان يخرج ويصلي الغداة في جماعة، ثم يجلس فيسبح حتى تطلع الشمس، ثم يصلي إلى الزوال، ثم يصلي الظهر، ثم يصلي العصر، ثم يجلس فيسبح إلى المغرب، ثم يصلي المغرب، ثم يصلي العشاء، ثم ينصرف إلى بيته فيكتب عنه في ذلك الوقت ". **(شعب الايمان:٤/٥٣٢)**

- ***وقال الذهبي في ترجمة الرئيس الزيادي أبي المحاسن أسعد بن علي بن الموفق:*** " ذكر السَّمْعاني أنه ثقة، صالح، عابد، دائم الأوراد، مستغرق الأوقات، يسرد الصوم ". **(سير أعلام النبلاء:٢٠/٢١٢)**

- ***وقالت مريم امرأة أبي عثمان:*** كنا نؤخر اللعب والضحك والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة؛ فإنه كان إذا دخل بيت الخلوة لا يُحِسُّ بشيء من الحديث وغيره ". **(شعب الإيمان:٤/٥٣٣)**

- ***وقال الربيع بن سليمان:*** " كان الشافعي-رحمه الله- قد جزَّأ الليل ثلاثة أثلاث: الثلث الأول يكتب، والثلث الثاني يصلي، والثلث الثالث ينام ". **(المصدر السابق)**

- ***وفي ترجمة عبد الرحمن بن مَهْدي:*** وكان ورده كل ليلة نصف القرآن ". **(تذكرة الحفاظ:١/٢٤٢)**

---

١ - ولا يُفهم من كلام السري أنه يتناقض مع ما أصلناه في قضاء الورد إذا فات لعذر، ولكن مقصد السري أن الوقت الذي سيقضي فيه وِرده الفائت فهو وقت لعبادة أخرى ستفوت عند قضاء هذا الورد الفائت، ويضيع عليه هذا الوقت الذي كان سيشغله بعبادة أخرى. وجاء في" صفة الصفوة" أن الجُنيد علل ذلك فقال: كان السري متصل الشغل، وكان إذا فاته شيء لا يقدر أن يعيده.

- ***وقال محمد بن مِسْعَرِ بن كدام-رحمه الله-:*** كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه، ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك، والطهور، ثم يستقبل المحراب، فكذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جدًا ".

(حلية الأولياء:٧/ ١٦٢)

- ***وقال الذهبي في ترجمة الإمام الفقيه أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي-رحمه الله-:*** " كان قدوة، صالحًا، عابدًا، قانتا لله، ربانيًا، خاشعًا، مخلصًا، عديم النظير، كبير القدر، كثير الأوراد والذكر، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة، قل أن ترى العيون مثله ". **(سير أعلام النبلاء: ٢٢/٦)**

- ***وقال الذهبي أيضًا-رحمه الله- في ترجمة بشر بن منصور الأزدي:*** " قال الإمام أحمد: هو ثقة وزيادة. وقال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان ورده ثلث القرآن ". **(المصدر السابق:٨/ ٣٦٠)**

- ***وفي ترجمة الإمام أبي منصور الخياط قال الذهبي-رحمه الله-:*** " قال السمعاني: صالح، ثقة، عابد، ملقن، له وِردٌ بين العشائين بسبع، وكان صاحب كرامات ".

- ***وفي الحاشية:*** أي: أنه كان يقرأ بين العشائين سُبعًا كاملا من القرآن ". **(المصدر السابق:٢٢٣/١٩)**

- ***وقال ابن المبارك-رحمه الله-*** أن أبا مِجْلَزٍ كان يركب مع قُتَيْبةَ بن مسلم في موكبه فيسبح الله اثنَيْ عشَرَ أَلْفَ تسبيحة، وَيَعُدُّها ببنانه ". **(شعب الإيمان:١٨٦/٢)**

- ***وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبي مطر-رحمه الله-:*** بِتُّ عند أحمد بن حنبل، فوضع لي صاعرة ماء، قال: فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب حديث لا يكون له ورد بالليل؟"، قال: قلت: مسافر، قال: "وإن كنت مسافرًا، حج مسروق فما نام إلا ساجدًا. **(المصدر السابق:٥٣٤/٤)**

- ***وفي القصة المشهورة لما أراد الإمام أحمد سماع الحارث المحاسبي.... قال راوي القصة إسماعيل بن إسحاق السَّراج:*** ".... انصرفت إلى أبي عبد الله وأخبرته، فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار، واجتهد في ورده إلى أن فرغ، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا....". **(مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي)**

- ***وفي ترجمة الإمام النووي-رحمه الله-:*** أنه قرأ على ابن مالك كتابًا من تصنيفه، ولازم الاشتغال والتصنيف ونشر العلم والعبادة والأوراد والصيام والذكر والصبر على العيش الخشن في المأكل والملبس ملازمة كلية لا مزيد عليها ". **(المصدر السابق:١٧٤/٤)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في ترجمة عائشة بنت رزق الله بن عوض أم أحمد المقدسية:*** مسنة معمِّرة، روت عن ابن عبد الدائم، وهي والدة شيختنا فاطمة بنت عبد الله بن عمر بن عوض، وكانت من العوابد ذوات البكاء والخشوع والأوراد. **(معجم الشيوخ الكبير:٩٠/٢)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في ترجمة محمد بن أحمد بن تمام بن حسان:*** " الشيخ العالم المقرئ الصالح الزاهد بركة الوقت: أبو عبد الله التلي الصالحي الخياط الحنبلي... تأدب بأدب السنة؛ من التقوى، والإخلاص، والتواضع، والبشاشة، والأوراد، والحب في الله، والبغض في الله، والقناعة، والتعفف، واطِّراح التكلف، والصدق، والورع، فالله يبارك في عمره ". **(المصدر السابق:٢/١٤)**

- ***وقال الذهبي أيضًا-رحمه الله- في ترجمة محمود بن محمد بن أحمد بن مبادر:*** " الإمام الزاهد العابد الفقيه المقرئ الشافعي؛ كان كبير القدر، كثير التلاوة والأوراد، قانعًا متعففا مهيبًا.

(سير أعلام النبلاء:٢/٣٣٢)

- ***وفي ترجمة حماد بن سلمة:*** " كانت أوقاته معمورة بالتعبد والأوراد. **(المصدر السابق:٧/٤٤٧)**

- ***وفي ترجمة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري-رحمَه اللهُ- أن ابن عَدِيٍّ قال:*** " سمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل البخاري إلى أقربائه بخَرْتَنْكَ، فسمعته يدعو ليلة إذ فرغ من ورده: اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، فما تم الشهر حتى مات ".

(المصدر السابق)

- ***وقال حرب الكرماني في" مسائله":*** سألت إسحاق بن راهويه، قلت: رجل له وِردٌ في شهر رمضان أو غيره، فيقرأ في الفريضة من ورده؟ فكره ذلك، وقال:" لا؛ لأن سنة النبي ﷺ على غير ذلك "، وذكر قراءة النبي ﷺ في الصلوات المكتوبات[1].

- ***ونقل محمد بن الحكم قول الإمام أحمد بن حنبل في الرجل يفوته ورده من الليل فقال:*** " لا يقرأ به في ركعتي الفجر؛ كان النبي ﷺ يخففهما، لكن يقرأ إذا أصبح، أرجو أن يُحسب له بقيام الليل ".

(بدائع الفوائد)

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: " كان أبي لا يفتر عن الركعات بين العشاءين ولا بعدها في ورده من صلاة الليل، وكان يسر القرآن، وربما جهر به ". **(تاريخ دمشق لا بن عساكر:٥/٣٠٠)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في" معرفة القراء الكبار" في ترجمة صافي بن عبد الله مولى ابن الخرقي:*** " مقرئ، مجود، عالي الإسناد، كثير التعبد والأوراد ". **(معرفة القراء الكبار ص:٢٨٠)**

---

١ ـ كان من هديه ﷺ في الفرائض أن يبتدئ القراءة من أول السورة، ويكملها في أغلب أحواله، وكان أحيانًا يقسمها في ركعتين.
ـ وكان ﷺ يقرأ في الفجر- غالبا- بطوال المفصَّل (وآخره" سورة الناس"، وأوله سورة " ق" على الأصح)، نحو ستين إلى مائة آية، وأحيانًا بقصاره كالتكوير، وقرأ مرة المعوذتين، وقلما كان يقرأ سورة واحدة في ركعتين معًا، فقد كرر الزلزلة مرة في الركعتين، وكان يصلي فجر الجمعة بالسجدة والإنسان كاملتين.
ـ وكان ﷺ يقرأ في كل من ركعتي الظهر قدر ثلاثين آية، وكان- أحيانًا- يطيل القراءة في الظهر لا سيما الركعة الأولى منها.
ـ وفي العصر على النصف من قراءة الظهر إذا طالت، وبقدرها إذا قصرت، في كلٍّ من الركعتين قدْر خمس عَشْرةَ آية.
ـ وفي المغرب بقصار المفصَّل غالبًا، وأحيانًا بطواله وأوساطه، وقرأ في المغرب مرة الأعراف
فرَّقها في الركعتين، وصلاها مرة بالطور، ومرة بالمرسلات.
ـ وكان يقرأ في العشاء ـ مثل الظهر والعصر- من أوساط المفصل.
ـ وكان يقرأ في صلاة الجمعة سورتي (الجمعة) و(المنافقون)، أو(الأعلى) و(الغاشية).
ـ أما في العيد فقرأ (ق) و(اقتربت)، أو(الأعلى) و(الغاشية).

- ***وقال ابن القيم-رحمه الله- في" الوابل الصيب":*** "وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغدَّ الغداء سقطت قوَّتي ". أو كلامًا قريبًا من هذا.

- ***وقال لي مرة:*** " لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكرٍ آخر. أو كلاما هذا معناه ". **(الوابل الصيب ص:٩٦)**

- ***وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-*** عن رجل وقع عليه غسل ولم يكن معه في ذلك الوقت ما يدخل به الحمام، ويتعذر عليه الماء البارد؛ لشدة برده، ثم إنه تيمم وصلَّى الفريضة، وله في الجامع وظيفة، فقرأ فيها، ثم بعد ذلك دخل الحمام، هل يأثم؟ أم لا؟

فأجاب-رحمه الله-: الحمد لله رب العالمين لا يأثم بذلك، بل فعل ما أمر به؛ فإن من خاف إذا استعمل الماء البارد أن يحصل له صداع أو نزلة أو غير ذلك من الأمراض ولم يمكن الاغتسال بالماء الحار فإنه يتيمم – وإن كان جنبًا- ويصلي عند جماهير علماء الإسلام: كمالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم، حتى لو كان له وِرد بالليل وأصابته جنابة والماء بارد يضره فإنه يتيمم ويصلي ورده التطوع، ويقرأ القرآن في الصلاة وخارج الصلاة، ولا يفوت وِرده لتعذر الاغتسال بالماء ". **(مجموع الفتاوى:٤٤٢/٢١)**

- ***قال في موضع آخَرَ:*** " ومن كان له وِرد مشروع من صلاة الضحى أو قيام ليل أو غير ذلك فإنه يصليه حيث كان، ولا ينبغي له أن يدع وِرده المشروع لأجل كونه بين الناس إذا علم الله من قلبه أنه يفعله سرًّا لله، مع اجتهاده في سلامته من الرياء ومفسدات الإخلاص، ولهذا قال الفُضَيل بن عياض:" ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك ". **(المصدر السابق:١٧٤/٢٣)**

- ***وقال الذهبي-رحمه الله- في" السير" أيضًا:*** " للصادق أن يُقل من الكلام والأكل والنوم والمخالطة، وأن يكثر من الأوراد والتواضع، وذكر الموت، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ".

(سير أعلام النبلاء:٥٣٤/١٤)

وقال الإمام ابن نجيم-رحمه الله-: وذكر الحلواني أنه لا بأس بأن يقرأ بين الفريضة والسنة الأوراد ".

(البحر الرائق:٥٢/٢)

هكذا دار لفظ "الوِرد" على ألسنة العلماء والصالحين، وكأنه أمر معهود متعارف عليه بينهم لم يختلفوا بشأنه.

إذا أردت النجاة؛ فاجعل حياتك وِرْدًا:

قال الإمام ابن الحاج-رحمه الله- في" كتابه المدخل:٣/١٧٩": " ينبغي للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة، لكل وقت منها عمل يخصه من الأوراد، فلا يقتصر في الورد على ما سبق من الصلاة والصوم، بل كل أفعال المريد وِرد، قد كان السلف- رضوان الله عليهم- يقولون جوابًا لمن طلب الاجتماع بأحد من إخوانه ويكون نائمًا: (هو في ورد النوم)، فالنوم وما شاكله هو من جملة الأوراد التي يتقرب بها إلى ربه عز وجل. وإذا كان كذلك؛ فيكون وقت النوم معلومًا كما أن وقت ورده بالليل يكون معلومًا، وكذلك اجتماعه بإخوانه يكون معلومًا، وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلومًا، كل ذلك وِرد من الأوراد، إذ إن أوقاته مستغرقة في طاعة ربه عز وجل[1] فلا يأتي إلى شيء مما أبيح له فعله أو ندب إليه إلا بنية التقرب إلى الله تعالى، وهذا هو حقيقة الورد، أعني: التقرب إلى الله تعالى، وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يَرد يكون سببًا لترك شيء من ذلك ". اهـ

الوصية الرابعة: إذا قرأت القرآن فاقرأه بتدبر:

فتجد أحدهم يقرأ القرآن في رمضان ويكثر من قراءته، والغرض من ذلك هو أن يختم القرآن أكثر من ختمة، وهذا خير كبير وأجره عظيم، ولكن تجد أن البعض يختم أكثر من ختمة ولا يتدبر في آية من آيات المصحف، **وهذا خطأ كبير مخالف لقول رب العالمين:** ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص:٢٩)

يقول الإمام القرطبي-رحمه الله-: قال العلماء: " يجب على القارئ إحضار قلبه والتفكر عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمَن قرأ ولم يتفكر فيه – وهو من أهل أن يدركه بالتذكر والتفكر – كان كمن لم يقرأه ولم يصل إلى غرض القراءة من قراءته، فإن القرآن يشتمل على آيات مختلفة الحقوق، فإذا ترك التفكر والتدبر فيما يقرأه استوت الآيات كلها عنده، فلم يدع لواحدة منها حقها، فثبت أن التفكر شرط في القراءة، يتوصل به إلى إدراك أغراضه ومعانيه، وما يحتوي عليه من عجائبه ".

(التذكار في أفضل الأذكار ص:١٩٥)

١- وذلك لأن النية تحوّل الأعمال العادية إلى عبادات، فإذا قصد الإنسان بالطعام والشراب التقوي على طاعة الله، وقصد بالقيلولة إعانته على قيام الليل، وقصد بالنكاح التعفف عن الفواحش، فإن هذه الأعمال المباحة في الأصل، تتحول بالنية إلى عبادات وأعمال صالحة يثاب عليها. قال رسول الله ﷺ:" إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة ". وروي أن معاذًا ﷺ قال لأبي موسى ﷺ: كيف تصنع في قيام الليل؟ فقال: أقوم الليل أجمع، لا أنام منه شيئًا، وأتفوق على القرآن تفوقًا، قال معاذ ﷺ:" لكني أنام، ثم أقوم، وأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: "معاذ أفقه منك".

ويقول الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب" الإتقان في علوم القرآن:١/ ١٠٦": " وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب.... وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظه به فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان قصَّر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوَّذ، أو تنزيه نزَّه وعظَّم، أو دعاء تضرَّع وطلب ". اهـ

– فعلى الإنسان أن يحدد له وقتًا زمنيًّا يقرأ فيه وردًا من القرآن، بغض النظر عن الكم الذي يقرؤه، لكن عليه أن يتفكر فيما يقرأ، ولو لم يخرج من هذه الجلسة إلا بجزء بسيط من القرآن لكن قراءة بتفكر وتدبر، فيكون هذا أفضل وأنفع له.

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي–رحمه الله– في كتابه "إحياء علوم الدين:٣/٥١٦" :" فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط، يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعًا لجلاله، واستشعارًا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله ﷻ، كذكرهم لله ﷻ ولدًا وصاحبة يغض صوته، وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقًا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا منها.

ويقول محمد بن كعب القرظي–رحمه الله–: " مَن بلغه القرآن فكأنما كلَّمه الله، وإذا قدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمله، ويعمل بمقتضاه ".

(إحياء علوم الدين:١/٥١٦)

وذكر الغزالي –رحمه الله– عن بعض العلماء أنه قال: " هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبل ربنا ﷻ بعهوده، نتدبَّرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتَّبَعات ". **(المصدر السابق)**

ويقول وهيب بن الورد–رحمه الله–: " نظرنا في هذه الأحاديث فلم نجد شيئًا أرق للقلوب، ولا أشد استجلابًا للحزن، من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره ".

فكان السلف يؤكد على أن تدبر القرآن وتفهمه - إلى جانب كونه مطلبًا دينيًا – فهو وسيلة تربوية ناجحة لشفاء القلوب من قسوتها، والأعين من جمودها.

الوصية الخامسة: إذا قرأت القرآن فاعمل بما جاء فيه:

قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ(١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (القيامة:١٦-١٩)

قال تعالى: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨)

قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣)

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٥)

قال تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (سورة طه: ١٢٣)

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ١٨)

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤)

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية: ١٨)

وأخرج الإمام أحمد واللفظ له وأبو يعلى من حديث عائشة-رضي الله عنها- أنها سُئِلَتْ عن خُلُقِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَتْ: كان خُلُقُه القُرآنَ ". (صحيح الجامع: ٤٨١١)

وقول عائشة-رضي الله عنها-" كان خُلقُه القرآنَ"، والخُلقُ هو الطَّبعُ، وقيل: الدِّينُ، والمعنى: كانتْ أخلاقُه مُتَّصفةً بالكمالِ الذي أخبَرَ به القرآنُ في كلِّ خُلقٍ، ويأتمِرُ بما أمَرَهُ اللهُ تعالى فيه، ويَنْتهي عمَّا نهى اللهُ عنه قولًا وفِعلًا، ووعْدِه ووعيدِه، إلى غيرِ ذلك؛ فكان خُلقُه جَميعَ ما حصَلَ في القرآنِ مِن كلِّ ما استحْسَنَه وأثْنى عليه ودعا إليه، فقد تحلَّى به، وكلُّ ما اسْتَهْجَنه، ونهى عنه، تجنَّبه وتخلَّى عنه.

(الدرر السنية)

قال النووي-رحمه الله-:" معناه: العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره، وحسن تلاوته ". (شرح مسلم:٣/٢٦٨).

وقال ابن رجب-رحمه الله- : " يعني أنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه ". (جامع العلوم والحكم:١/١٤٨).

قال المناوي-رحمه الله- في" فيض القدير:٥/١٧٠": وقول عائشة-رضي الله عنها-" كان خُلقُه القرآنَ": أي ما دل عليه القرآن من أوامره ونواهيه، ووعده ووعيده إلى غير ذلك ".

وقال القاضي-رحمه الله-: أي خلقه كان جميع ما حصل في القرآن، فإنَّ كُلَّ ما استحسنه وأثنى عليه ودعا إليه فقد تحَلَّى به، وكل ما استهجنه ونهى عنه تَجَنَّبَه وتَخَلَّى عنه، فكان القرآن بيان خلقه... ". اهـ

وقال في الديباج: " معناه العمل به، والوقوف عند حدوده، والتأديب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبيره وحسن تلاوته ".

وأخرج ابن حبان والبيهقي في" شعب الإيمان" من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **القرآنُ شافعٌ مشفَّعٌ، وماحِلٌ مصدَّقٌ، من جَعلَه أمامَه قادَه إلى الجنَّةِ، ومن جعلَه خَلفَ ظهرِه ساقَه إلى النَّارِ**".

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٤٢٣)

يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **القرآنُ شافعٌ**"، أي: لصاحبِه وقارئِه،" **مُشفَّعٌ**"، أي: مَقبولُ الشَّفاعةِ،" **وماحِلٌ مُصدَّقٌ**"، أي: شاهدٌ مُصدَّقٌ عندَ اللهِ،" **مَن جعَلَه أمامَه**"؛ بأنْ نفَّذَ أوامرَه وانتَهى عن نواهيهِ،" **قادَه إلى الجنَّةِ**"؛ بتَسهيلِ الطريقِ إليها،" **ومَن جعَلَه خلْفَ ظَهرِه**"؛ بأنْ خالَفَ أمْرَه ونَهيَه،" **ساقه إلى النارِ**"، والمعنى: أنَّ مَن اتَّبعَ القُرآنَ وعمِلَ بما فيه، فسَيكونُ القرآنُ شافعًا له، مَقبولَ الشَّفاعةِ عندَ اللهِ في العفْوِ عن خَطاياهُ، ومَن ترَكَ العمَلَ به صدَقَ عليه القُرآنُ فيما يُرفَعُ إلى اللهِ مِن ذُنوبِ العبدِ، ومَن شهِدَ عليه القرآنُ بالتَّقصيرِ والتَّضييعِ فهو في النارِ.

قال القرطبي-رحمه الله-: " ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا؛ كان القرآن حجة عليه، وخصما لديه، وقد قال ﷺ: القرآن حجة لك أو عليك".

(الجامع الأحكام القرآن:٢/١)

قال الحسن البصري-رحمه الله-: " أُنْزِل القرآن ليُعْمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملًا، يعني أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به ".

وكذا قال الفضيل-رحمه الله-: " إنّما نزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس قراءته عملًا، قيل: كيف العمل به؟ قال:" ليحلّوا حلاله، ويحرّموا حرامه، ويأتمروا بأوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويقفوا عند عجائبه ".

(اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي)

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله-عندما تكلم في كتابه "تلبيس إبليس" عند ذكر تلبيسه على القرّاء فقال: " فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها، فيفني أكثر عمره في جمعها، وتصنيفها، والإقراء بها، ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات، فربما رأيت إمام مسجد يتصدَّى للإقراء، ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حبّ التصدُّر حتى لا يرى بعين الجهل، على أن يجلس بين يدي العلماء ويأخذ عنهم العلم، ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن، وتقويم ألفاظه، ثم فهمه، ثم العمل به، ثم الإقبال على ما يصلح النفس، ويُطهِّر أخلاقها، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضيِّع الزمان فيما غيره الأهم ".

وقال نصر بن يحيى بن أبي كثير-رحمه الله-: "إذا التبست عليك الطرق واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حيرة من أمرك، وضاق بها صدرك، فارجع إلى القرآن الذي لا حيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتك، وتقوى بعد ضعفك".(**العزلة لابن أبي الدنيا ص:٨٠**)

وكان السلف أحرص الناس على تطبيق ما تعلموه في القرآن:

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها، حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ". (**أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن جرير**)

الوصية السادسة: احذر عند قراءة القرآن أن تكون من هذا الصنف:

قالَ تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (سورة ق:٣٦،٣٧)

قال ابن القيم-رحمه الله-: " **والنّاسُ ثَلاثَةٌ:** رَجُلٌ قَلْبُهُ مَيِّتٌ، فَذَلِكَ الَّذِي لا قَلْبَ لَهُ، فَهَذا لَيْسَتْ هَذِهِ الآيَةُ ذِكْرى في حَقِّهِ. **الثّانِي:** رَجُلٌ لَهُ قَلْبٌ حَيٌّ مُسْتَعِدٌّ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَمِعٍ لِلْآياتِ المَتْلُوَّةِ الَّتِي يُخْبِرُ بِها اللَّهُ عَنِ الآياتِ المَشْهُودَةِ إمّا لِعَدَمِ وُرُودِها، أوْ لِوُصُولِها إلَيْهِ ولَكِنَّ قَلْبَهُ مَشْغُولٌ عَنْها بِغَيْرِها، فَهو غائِبُ القَلْبِ، لَيْسَ حاضِرًا، فَهَذا أيْضًا لا تَحْصُلُ لَهُ الذِّكْرى مَعَ اسْتِعْدادِهِ ووُجُودِ قَلْبِهِ. **الثّالِثُ:** رَجُلٌ حَيُّ القَلْبِ مُسْتَعِدٌّ، تُلِيَتْ عَلَيْهِ الآياتُ، فَأصْغى بِسَمْعِهِ، وألْقى السَّمْعَ وأحْضَرَ قَلْبَهُ، ولَمْ يَشْغَلْهُ بِغَيْرِ فَهْمِ ما يَسْمَعُهُ، فَهو شاهِدُ القَلْبِ، مُلْقِ السَّمْعَ، فَهَذا القِسْمُ هو الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالآياتِ المَتْلُوَّةِ والمَشْهُودَةِ. **فالأوَّلُ:** بِمَنزِلَةِ الأعْمى الَّذِي لا يُبْصِرُ. **والثّانِي:** بِمَنزِلَةِ البَصِيرِ الطّامِحِ بِبَصَرِهِ إلى غَيْرِ جِهَةِ المَنظُورِ إلَيْهِ، فَكِلاهُما لا يَراهُ. والثّالِثُ: بِمَنزِلَةِ البَصِيرِ الَّذِي قَدْ حَدَّقَ إلى جِهَةِ المَنظُورِ، وأتْبَعَهُ بَصَرَهُ، وقابَلَهُ عَلى تَوَسُّطٍ مِنَ البُعْدِ والقُرْبِ، فَهَذا هو الَّذِي يَراهُ. فَسُبْحانَ مَن جَعَلَ كَلامَهُ شِفاءً لِما في الصُّدُورِ. فاعْلَمْ أنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ لَهُ قَلْبٌ وقّادٌ، مَلِيءٌ بِاسْتِخْراجِ العِبَرِ، واسْتِنْباطِ الحِكَمِ، فَهَذا قَلْبُهُ يُوقِعُهُ عَلى التَّذَكُّرِ والِاعْتِبارِ، فَإذا سَمِعَ الآياتِ كانَتْ لَهُ نُورًا عَلى نُورٍ، وهَؤُلاءِ أكْمَلُ خَلْقِ اللَّهِ، وأعْظَمُهم إيمانًا وبَصِيرَةً، فَصاحِبُ هَذا القَلْبِ إذا سَمِعَ الآياتِ وفي قَلْبِهِ نُورٌ مِنَ البَصِيرَةِ ازْدادَ بِها نُورًا إلى نُورِهِ، فَإنْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَبْدِ مِثْلُ هَذا القَلْبِ فَألْقى السَّمْعَ وشَهِدَ قَلْبُهُ ولَمْ يَغِبْ حَصَلَ لَهُ التَّذَكُّرُ أيْضًا ﴿ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ (البقرة:٢٦٥) والوابِلُ والطَّلُّ في جَمِيعِ الأعْمالِ وآثارِها ومُوجَباتِها. وأهْلُ الجَنَّةِ سابِقُونَ مُقَرَّبُونَ، وأصْحابُ يَمِينٍ، وبَيْنَهُما في دَرَجاتِ التَّفْضِيلِ ما بَيْنَهُما ". اهـ (**التفسير القيم لابن القيم**)

الوصية السابعة: أين البكاء عند تلاوة القرآن[1]:

قال تعالى في سياق الثناء على الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)

قال عبد الأعلى التيمي-رحمه الله-: " إن من أُوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه، لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا(١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا(١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ (الإسراء: ١٠٧-١٠٩)

(جامع البيان للطبري:٨/١٦٥)

ويُروَى عن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: " إذا قرأتم سجدة ﴿سُبْحَانَ[2]﴾ فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا، فإن لم تبكِ عينُ أحدكم؛ فليبك قلبه ". (الإحياء:١/٥٠٢).

وقال تعالى منكرًا على المشركين: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ(٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ(٦٠) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ[3]﴾ (سورة النجم: ٥٩-٦١)

وأخرج أبو داود عن عبدِ اللهِ بنِ الشِّخِّيرِ ﷺ قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُصلِّي وفي صدرِه أزيزٌ كأزيزِ الرَّحى[4] مِنَ البكاءِ ". (صحيح أبي داود: ٩٠٤)

- ***وفي رواية:*** " أتيتُ رسولَ اللَّه ﷺ وَهوَ يصلِّي ولجوفِهِ أزيزٌ كأزيزِ المِرجَلِ[5] من البُكاءِ ".

وأخرج ابن حبان عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة-رضي الله عنها- فقال عبيد بن عمير: حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ، فبكت، وقالت: قام ليلة من الليالي، فقال: يا عائشة! ذريني أتعبد لربي"، قالت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما يسرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، فلم يزل يبكي حتى بل حجره، ثم بكى، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله! تبكي، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال:" أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ(١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ الآيات (آل عمران: ١٩٠، ٢٠٠)

(صححه الألباني في الصحيحة)

١- " عودوا إلى خير الهدي " لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل المقدم- حفظه الله-.
٢- أي التي في سورة الإسراء.
٣- سامدون: غافلون لاهون عنه، وعن تدبره.
٤- أزيزُ الرَّحَى: وهو صوتُ الطاحونةِ في دَورانِها عند طَحنِ الحَبِّ
٥ - أزيزِ المِرجَلِ: غليان القِدر.

وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، ولا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ".

(صححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم:٣٨٢٨)

وأخرج الترمذي من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله ".(حسنه الحافظ في "الفتح:٦/٨٣).

قال في" تحفة الأحوذي:٥/٢٦٩": قوله:" عينان لا تمسهما النار"، أي: لا تمس صاحبهما، فعبر بالجزء عن الجملة، وعبر بالمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى". اهـ

وأخرج الترمذي عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ". (صححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم:٣٨٣٧)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ، يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ".

وجاء في حلية الأولياء:٢/ ٥٥" عن عبد الله بن عبيدة -رحمه الله- أن نفرًا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ، فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا، فنادتهم صفية -رضي الله عنها- فقالت: هذا السجود وتلاوة القرآن، فأين البكاء؟ ".

وأخرج البيهقي في" شعب الإيمان" واللفظ له وعبد الرزاق عن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيجَ عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ في صلاةِ الصبحِ وهو يقرأُ من سورةِ يوسفَ وأنا في آخرِ الصفوفِ، يقرأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾".

- *وفي رواية عند ابن أبي شيبة في "المصنف" عن علقمة بن وقاص-رحمه الله- قال:* صليت خلف عمر بن الخطاب ﷺ فقرأ سورة يوسف، فكان إذا أتى على ذكر يوسف-عليه السلام- سمعت نشيجه من وراء الصفوف ".

وأخرج البخاري من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: لَمَّا اشْتَدَّ برَسولِ اللَّهِ ﷺ وجَعُهُ قيلَ له في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: مُرُوا أبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ قَالَتْ عَائِشَةُ -رضي الله عنها-: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إذَا قَرَأَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: مُرُوهُ فيُصَلِّي، إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ.

- ***وفي رواية في الصحيحين من حديث عائشة-رضي الله عنها- قالت:*** " لمَّا ثَقُلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ بلَالٌ يُؤذِنُهُ بالصَّلَاةِ، فَقالَ: مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ، فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ[1] وإنَّه متَى ما يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، فَقالَ:" مُرُوا أبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بالنَّاسِ"، فَقُلْتُ لِحَفْصَةَ: قُولِي له: إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أسِيفٌ، وإنَّه متَى يَقُمْ مَقَامَكَ لا يُسْمِعُ النَّاسَ، فلوْ أمَرْتَ عُمَرَ، قالَ: إنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أبَا بَكْرٍ أنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ...". الحديث.

وأخرج البخاري عن عَائِشَةَ-رضي الله عنها- زَوْجَ النبيِّ ﷺ قالَتْ: لَمْ أعْقِلْ أبَوَيَّ إلَّا وهُما يَدِينَانِ الدِّينَ، ولَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينَا فيه رَسولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ: بُكْرَةً وعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأبِي بَكْرٍ ﷺ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بفِنَاءِ دَارِهِ، فَكانَ يُصَلِّي فيه ويَقْرَأُ القُرْآنَ، فَيَقِفُ عليه نِسَاءُ المُشْرِكِينَ وأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ منه ويَنْظُرُونَ إلَيْهِ، وكانَ أبو بَكْرٍ ﷺ رَجُلًا بَكَّاءً، لا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إذَا قَرَأَ القُرْآنَ، فأفْزَعَ ذلكَ أشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ المُشْرِكِينَ ".

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن القاسم بن محمد بن أبي بكر-رضي الله عنهم- قال: " كنت غدوت يومًا فإذا عائشة قائمة تسبح[2] وتبكي، وتقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾(الطور:٢٧) وتدعو وتبكي، وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتي، ثم رجعت فإذا هي قائمة كما هي، تصلي وتبكي". (فتح الباري).

وعن مسروق-رحمه الله- قال: قال رجل من أهل مكة: هذا مقام تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو قُرب أن يُصبح، يقرأ آية من كتاب الله، ويركع، ويسجد، ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١).

(الإصابة لابن حجر:١/ ١٨٤" وصحح إسناده إلى مسروق)

وقال بشير-رحمه الله-: " بِتُّ عند الربيع بن خثيم ذات ليلة، فقام يصلي، فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١)، فمكث ليلته حتى أصبح، ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد". (حلية الأولياء:٢/١١٢)

وقال إبراهيم بن الأشعث-رحمه الله-: كثيرًا ما رأيت الفضيل بن عياض يردد من أول الليل إلى آخره هذه الآية ونظيرها ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الجاثية:٢١)، ثم يقول:" ليت شعري! من أي الفريقين أنت؟". (الجامع لأحكام القرآن:١٦/١٦٦).

قال القرطبي-رحمه الله-: " وكانت هذه الآية تسمى مَبْكاةَ العابدين، لأنها محكمة ". (المصدر السابق)

١- أَسِيفٌ: أي رجُلٌ رقيق القلب، كثيرُ البُكاءِ والحزنِ في الصَّلاةِ.
٢- تسبح: يعني: تصلي.

وعن الحسن-رحمه الله- قال: " لم يزل الناس على ذلك، يبكون عند الذكر وقراءة القرآن".

(الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا).

وروى خالد بن مَعْدَان عن كعب الأحبار قال: " لَأن أبكيَ من خشية الله أحب إليَّ من أن أتصدق بوزني ذهبًا". (سير أعلام النبلاء:٣/٤٩٠)

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة وحلية الأولياء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: " ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونا، حكيما حليمًا، عليمًا سكيتًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا صَخَّابًا ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا ".

تنبيه: لا ينبغي تعمد رفع الصوت بالبكاء في الصلاة أو عند قراءة القرآن:

فمن الناس مَن يتكلَّف البكاء ويفتعله، ويتعمَّد إظهاره، وهذا كله خلاف نهج النبي ﷺ وهديه، فقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان يكتمه فيسمع لصدره أزيز.

كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن عبد الله بن الشخير ﷺ قال: " **أتيت النبي ﷺ وهو يصلي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل** ".

وهذا حال النبي ﷺ في البكاء، لا كما يفعله بعض الأئمة من الصراخ والصياح والعويل.

وانظر لحال السلف عند البكاء:

يقول محمد بن واسع -رحمه الله-: " أدركتُ رجالًا، كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خدِّه من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركتُ رجالًا يقوم أحدهم في الصف، فتسيل دموعه على خدِّه ولا يشعر به الذي إلى جنبه ".

ويقول الحسن البصري-رحمه الله-: " إن الرجل ليجلس المجلس؛ فتجيئه عبرته فيردها، فإذا خشي أن تسبقه قام ". (الزهد للإمام أحمد ص:٢٦٢)

وها هو أيوب السختياني-رحمه الله-:كان إذا وعظ فرقَّ، فَرَقَ (خاف) من الرياء فيمسح وجهه، ويقول: ما أشدَّ الزكام ". (المدهش لابن الجوزي)

فرحمة الله عليهم، أصلحوا حالهم مع الله، فأصلح الله أحوالهم مع الناس، لم يطلبوا الشهرة لكن أبى الله إلا أن يشتهروا، ويُذْكَرُوا، وتَطِيب المجالس بذكرهم.

فها هو محمد بن أسلم الطوسي-رحمه الله-: " كان يقرأ القرآن فيبكي، فإذا أراد أن يخرج، غسل وجهه حتى لا يُرى عليه أثر البكاء، فلما أصلح سرَّه وخاف الشهرة، انظر ماذا كان عند موته؟ صلَّى عليه عند موته ألف ألف من الناس، وقيل: ألف ألف ومائة ألف من الناس.

تنبيه مهم: مَن استطاع أن يكتم بكاءه فلم يفعل وأظهره، وقع في الرياء.

قال ابن الجوزي-رحمه الله- في" كتابه تلبيس إبليس ص:٢٠٣": " وقد لبَّس إبليس على قوم من المتعبدين، وكانوا يبكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه، فلا يمكن دفعه، فمن قدر على ستره، فأظهره فقد تعرض للرياء ".

يقول محمد شومان الرملي في" كتابه دموع القراء ص: ٨-١١": " البكاء عند سماع القرآن وتلاوته ليس مقصودًا لذاته، ولا هو المراد في الأصل، إنما المقصود حضور القلب وتدبُّره لما يتلو ويسمع، فيُحْدِث له ذلك إيمانًا ويقينًا، ورغبة ورهبة، ومحبة وشوقًا، وتوجب له هذه الأمور خضوعًا وخشوعًا، وذلًا وانكسارًا، يصاحب ذلك رقة وبكاء. فهذا البكاء يُمْدَح ويُثْنى على صاحبه، لا البكاء المجرَّد عن السبب الذي ذكرتُ، العاري عن الخشوع الذي وصفت، ولا البكاء المتكلف أو الذي يراد به وجه الخلق.

ولقد رأيت كثيرًا من القرَّاء خاصة من أئمة المساجد يتصنعون البكاء، ويتكلفونه إلى الغاية، فتجد الواحد منهم يستجلب البكاء ويستخرجه من رأسه قَسْرًا، ضد ما كان عليه السلف-رحمهم الله- يكظمونه ويردُّونه حيث استطاعوا. وينبغي للقارئ إذا كان مع الناس أن يخفض بكاءه ما استطاع، وإذا كان وحده فليبك ما شاء، لكن لا يُحدِّث به أحدًا بعد. ولقد رأيت من الأئمة مَن يتجهز للبكاء قبل الصلاة، ورأيت مَن يقدِّم الإمام إلى الصلاة، ويقول له: ابكِ يا شيخ، ورأيت مَن يبكي أثناء الفاتحة في الركعة الأولى، بل إن بعضهم لتخرج منه تكبيرة الإحرام مخنوقة بالبكاء. ما هكذا كان السلف، فقد كانوا يبكون في مواضع البكاء، ويبكون غلبة لا تصنُّعًا، ويبكون لِما تحدثه الآيات في قلوبهم من الخشوع والرقة، لا يبكون رياء وسمعة. ولقد رأيت من لا تكاد تفهم قراءته لكثرة بكائه، ويبكي إذا قرأ آيات الوعيد، ويبكي إذا قرأ آيات الرجاء، ويبكي إذا قرأ آيات الطلاق، ويبكي إذا قرأ آيات الميراث[1].

إن هذا يذكرني بحكاية هي كالطرفة، رأيتها في أخبار الحمقى لابن الجوزي ، ***قال-رحمه الله- عن أبي عثمان الجاحظ، قال: أخبرني يحيى بن جعفر قال:*** كان لي جار من أهل فارس، وكان طوال الليل يبكي، فأنبهني ذات ليلة بكاؤه ونحيبه، وهو يشهق، ويضرب على رأسه وصدره، ويردد آية من كتاب الله تعالى، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التي قتلت هذا، وأذهبتْ نومي، فتسمَّعتُ عليه، فإذا الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ (البقرة:٢٢٢) وصلَّيتُ مرة خلف بعضهم فناح طوال الصلاة، وبعض من خلفه يبكون، ويتكلمون بالدعاء والنياحة، والتأوهات في الصلاة وأثناء القراءة!!! ويخرجون المناديل من جيوبهم، ويمسحون وجوههم، ويتحركون هكذا وهكذا....". اهـ بتصرف

١- لا عجب في أن يبكي القارئ من كل آي القرآن الكريم خشوعًا وتعظيمًا لأنه كلام الله تعالى، وإنما النكير على المرائي ببكائه أيًا كان موضوع الآيات الكريمة. (أفاده الشيخ محمد إسماعيل المقدم-حفظه الله-)

حكم البكاء في الصلاة[1]:

يرى الحنفية أن البكاء في الصلاة [بصوت] إن كان سببه ألمًا أو مصيبة فإنه يُفسِد الصلاة، لأنه يعتبر من كلام الناس، وإن كان سببه ذكر الجنة أو النار فإنه لا يفسدها، لأنه يدل على زيادة الخشوع، وهو المقصود في الصلاة، فكان في معنى التسبيح أو الدعاء. ويدل على هذا حديث الرسول ﷺ" **أنه كان يصلي بالليل، وله أزيز كأزيز المرجل من البكاء** ". (أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الألباني)

وعن أبي يوسف أن هذا التفصيل فيما إذا كان على أكثر من حرفين، أو على حرفين أصليين، أما إذا كان على حرفين من حروف الزيادة، أو أحدهما من حروف الزيادة والآخر أصلي؛ فلا تفسد في الوجهين معًا، وحروف الزيادة عشرة يجمعها قولك: أمان وتسهيل. (تبيين الحقائق:١/ ١٥٥) (فتح القدير:١/ ٢٨١)

وحاصل مذهب المالكية في هذا: أن البكاء في الصلاة إما أن يكون بصوت، وإما أن يكون بلا صوت، فإن كان البكاء بلا صوت؟ فإنه لا يبطل الصلاة، سواء كان بغير اختيار، بأن غلبه البكاء تخشعًا أو لمصيبة، أم كان اختياريًّا ما لم يكثر ذلك في الاختياري. وأما إذا كان البكاء بصوت، فإن كان اختياريًّا فإنه يبطل الصلاة، سواء كان لمصيبة أم لتخشع، وإن كان بغير اختياره، بأن غلبه البكاء تخشعًا لم يبطل؛ وإن كثر، وإن غلبه البكاء بغير تخشع أبطل.

(حاشية الشيخ علي العدوي على مختصر خليل، وهي بهامش الخرشي:١/ ٣٢٥)(جواهر الإكليل:١/ ٦٣)(مواهب الجليل:٢/ ٣٣)

هذا، وقد ذكر الدسوقي أن البكاء بصوت، إن كان لمصيبة أو لوجع من غير غلبة أو لخشوع فهو حينئذ كالكلام، يفرق بين عمده وسهوه، أي فالعمد مبطل مطلقًا، قل أو كثر، والسهو يبطل إن كان كثيرًا، ويسجد له إن قل ". (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير:١/ ٢٨٤)

وأما عند الشافعية، فإن البكاء في الصلاة على الوجه الأصح إن ظهر به حرفان فإنه يبطل الصلاة، لوجود ما ينافيها، حتى وإن كان البكاء من خوف الآخرة. وعلى مقابل الأصح: لا يبطل لأنه لا يسمى كلامًا في اللغة، ولا يفهم منه شيء، فكان أشبه بالصوت المجرد.

(نهاية المحتاج:٢/ ٣٤)(مغني المحتاج:١/ ١٩٥)

وأما الحنابلة فإنهم يرون أنه إن بان حرفان من بكاءٍ، أو تأوه خشية، أو أنين في الصلاة لم تبطل، لأنه يجري مجرى الذكر، وقيل: إن غلبه وإلا بطلت، كما لو لم يكن خشية، لأنه يقع على الهجاء، ويدل بنفسه على المعنى كالكلام، قال أحمد في الأنين: إذا كان غالبًا أكرهه، أي من وجع، وإن استدعى البكاء فيها؛ كره كالضحك، وإلا فلا. (الفروع:١/ ٣٧٠).

١ـ انظر (الموسوعة الفقهية:٨/١٧٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- ما مختصره: " وما يحصل عند الذكر المشروع من البكاء، ووجل القلب، واقشعرار الجسوم؛ فمن أفضل الأحوال التي جاء بها الكتاب، أما الاضطراب الشديد والغَشْيُ والصَّيَحان [1]؛ فإن كان صاحبه لم يعلم ما هو عليه لم يُلَمْ، وسببه قوة الوارد مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل، كما هو حال النبي ﷺ وأصحابه، وأما السكون قسوةً وجفاء؛ فهذا مذموم". اهـ

(مختصر الفتاوى المصرية ص:١٠٠)

وقد سئل الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله- عن ظاهرة ارتفاع الأصوات بالبكاء.

فأجاب -رحمه الله-: " لقد نصحت كثيرا من اتصل بي بالحذر من هذا الشيء، وأنه لا ينبغي، لأن هذا يؤذي الناس، ويشق عليهم، ويشوش على المصلين وعلى القارئ، فالذي ينبغي للمؤمن أن يحرص على أن لا يُسمع صوتُه بالبكاء، وليحذر، فإن الشيطان قد يجره إلى الرياء، فينبغي له أن لا يؤذي أحدًا بصوته، ولا يشوش عليهم، ومعلوم أن بعض الناس ليس ذلك باختياره، بل يغلب عليه من غير قصد، وهذا معفو عنه إذا كان بغير اختياره، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ، يكون لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وجاء في قصة أبي بكر أنه كان إذا قرأ لا يُسمِعُ الناسَ من البكاء، وجاء عن عمر أنه يُسْمَع نَشيجُه من وراء الصفوف، ولكن هذا ليس معناه أنه يتعمد رفع صوته بالبكاء، وإنما شيء يغلب عليه من خشية الله عز وجل، فإذا غلبه البكاء من غير قصد؛ فلا حرج ". اهـ

وسئل -رحمه الله- عن حكم ترديد الإمام لبعض آيات الرحمة أو العذاب؟

فأجاب -رحمه الله-: " لا أعلم في هذا بأسًا لقصد حث الناس على التدبر والخشوع والاستفادة، فقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه ردد قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة:١١٨) رددها كثيرًا عليه الصلاة والسلام. فالحاصل أنه إذا كان لقصدٍ صالح، لا لقصد الرياء؛ فلا مانع من ذلك، لكن إذا كان يرى أن ترديده لذلك قد يزعجهم، ويحصل به أصوات مزعجة من البكاء، فترك ذلك أوْلى حتى لا يحصل تشويش[2]، أما إذا كان ترديد ذلك لا يترتب عليه إلا خشوع وتدبر وإقبال على الصلاة، فهذا كله خير[3]". اهـ

١- الصَّيَحان، محركةً: الصوت بأقصى الطاقة.

٢- وقد قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه أبو داود:" ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة - أو قال: في الصلاة-". ففيه نهي المصلي عن أذية إخوانه بكل ما يشوش عليهم في الصلاة.

٣- (نقله عن سماحته الشيخ عبد الله اللحيدان في رسالته" البكاء عند قراءة القرآن ص: ٣٩، ٤٠).

الوصية الثامنة: عليك الدعاء عند ختم القرآن الكريم:

لم يثبت في مطلق الدعاء لختم القرآن شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، لكنه صح من فعل أنس بن مالك ﷺ، وتبعه عليه جماعة من التابعين.

فقد أخرج ابن المبارك في "الزهد" وابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي في "سننه" عن ثابتٍ البُناني وقتادة وابن عطية وغيرهم: **" أن أنس بن مالك ﷺ كان اذا ختم القرآن جمع أهله وولده، فدعا لهم".**

وقال الحكم بن عتيبة-رحمه الله-: كان مجاهد، وعبدة بن أبي لبابة، وناسٌ؛ يعرضون المصاحف، فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يختِموا أرسلوا إليَّ، وإلى سلمة بن كهيل، فقالوا: إنا كنا نعرض المصاحف، فأردنا أن نختِم اليوم، فأحببنا أن تشهدونا، فإنه كان يقال: "إذا خُتم القرآن نزلت الرحمة عند خاتمته، أو حضرت الرحمة عند خاتمته ".

(رواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" والدارمي وغيرهما، وأشار النووي وابن حجر إلى صحة إسناده موقوفًا)

وقال مجاهد بن جبر-رحمه الله-: " الرحمة تنزل عند ختم القرآن ". **(رواه ابن أبي شيبة)**

وقال ابن القيم-رحمه الله-: " وقد نص الإمام أحمد-رحمه الله- على الدعاء عَقِيبَ الختمة، فقال في رواية أبي الحارث:" كان أنس ﷺ إذا ختم القرآن جمع أهله وولده". وقال في رواية يوسف بن موسى، وقد سئل عن الرجل يختم القرآن فيجتمع إليه قوم فيدعون، قال:" نعم، رأيت معمرًا يفعله إذا ختم". وقال في رواية حرب: أستحب إذا ختم الرجل القرآن أن يجمع أهله ويدعو". اهـ **(جلاء الأفهام ص:٢٨٨)**.

وعلق الألباني-رحمه الله-على قول الإمام ابن الجوزي-رحمه الله-: " فإني لما رُزقْتُ شرفَ النكاح، وطلب الأولاد، ختمت ختمة [١] ". ***فقال الألباني-رحمه الله-:*** " يشير بذلك إلى أن الدعاء بعد ختم القرآن ترجى استجابته، وقد جاء في ذلك آثار كثيرة عن السلف الصالح، منها ما رواه ثابت البُناني عن أنس ﷺ... فذكره. أخرجه الدارمي بسند صحيح ". اهـ

وقال صالح بن أحمد بن حنبل-رحمه الله-: " كان أبي يختم من جمعة إلى جمعة، فإذا ختم يدعو ونُؤَمِّن". **(سير أعلام النبلاء:١١/ ٢٧٦)**.

١- (لفتة الكبد ص:٧).

وقفة:

دعاء ختم القرآن داخل الصلاة ليس من السنة:

لم يرد دليل عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من صحابته على مشروعية دعاء ختم القرآن في الصلاة، من إمام أو منفرد قبل الركوع أو بعده في التراويح أو غيرها.

وقد قال حذيفة رضي الله عنه:" كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تَعَبَّدوها، فإن الأولَ لم يَدع للآخِرِ مقالا، فاتقوا الله يا معشر القراء، وخذوا بطريق من كان قبلكم ".

تنبيه:

ما اشتهر بين الناس من دعاء ختم القرآن المنسوب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- لم تثبت نسبته إليه ".

الوصية التاسعة: لا تتباهى أمام الناس بختم القرآن:

وهذا يتنافى مع الإخلاص، بل ربما يجمع أحدهم الناس ليدعو بهم لأنه ختم القرآن، وهذا فيه ما فيه من إظهار العمل، وهذا على خلاف ما كان عليه السلف.

قال ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" تلبيس إبليس": " ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلًا كان يُصلِّي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة، ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين، ويدعو بدعاء الختمة؛ ليعلم الناس أني قد ختمت الختمة، وما هذه طريقة السلف، فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم، وكان عمل الربيع بن خثيم كله سرًا، فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه، وكان أحمد بن حنبل يقرأ القرآن كثيرًا ولا يُدْرَى متى يختم ". اهـ

وصدق إبراهيم التيمي-رحمه الله- حيث يقول: " المخلص مَن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته ".

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك